

أحمد جعفر

مضمون الكتاب

في القراءات الكريمة

يتضمن تفصيلا ما ألقاه الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب
في الجامعة المصرية

بقلم

محمد محمد عفيف

وكيل كلية الشريعة الإسلامية

وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا

صاحب المنار

(الطبعة الأولى في سنة ١٣٥١)

مطبعة المنار بمصر

مقدمة التصدير

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ
لِكِتَابِ عَزِيزٍ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)
(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ؛ وَالَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ
يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)

إن من أكبر مصائب الأمة الإسلامية أن يبلغ بها الهوان في أكبر
أمصارها وأشهرها بالعالم ، وأرجاها للحياة ، أن تعلم أفراداً من
نابتها من العلم ما ترجو أن يكونوا به جنداً لها ينصرها على من
يهاجمها من الأعداء في دينها وشرفها وأديها ، فينقلبوا أنصاراً
لأعدائها ، ويهاجموها في أمنع معاقلها وحصونها ، ويحاولوا هدم
ما لم تكن لولاه شيئاً مذكوراً ، وإنما به كانت أمة عزيزة شديدة
القوى ، مرجوة الندى ، مرهوبة الشدا ، ذات هداية عليا ، وتشريع
عادل ، وحضارة زاھية ، به دانت لها الأمم الكثيرة ، وبه نالت
الإمامة والملك ، ثم يوجد من حكامها ووزرائها من يكرمهم

ويأتمنهم على تربية نشئها، وتعليمه بليقتها، ماهو شر من تعليم المجاهرين
بعداوتها، الذين يدعوتها الى الخروج عن دينها، ليلم لهم إخضاعها
لسلطان الاجنبي، بغير منازع وجداني.

كان أجراً هؤلاء العققة (١) كاتب بدأ تعليمه في الازهر ثم
في الجامعة المصرية في أول العهد بانشائها، وصحب في هذا العهد
من لثق ذهنه بالاحاد، ثم أرسلته الجامعة إلى فرنسة ليدرس أدب
اللغات فيها، فغذت فرنسة ذلك اللقاح بما ظهر أثره في العمل، إذ
عاد اليها فجعل من أساتذها ثم وكيلا لعميدها، وهو أستاذه الاول
في أفكاره، والمركس له في تياره.

حذق في صناعة الكتابة، فكان فيها ذا رشاقة وخلاصة، ألف
كتبا وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الاحاد، وفي بعض آخر
مخدرات الاباحة والاعراء بالشهوات، فنهدهم للرد عليه فريق من العلماء
والادباء، حتى ضج في الشكوى منه مجلس النواب في عهد رئاسة
سعد باشا زغلول فأوشك أن ينتقم منه، ورفع أمره الى القضاء فكاد
يقضي عليه، بيد أن أنصاره الاقوياء من كبار الوزراء آزره ووظاهروه

(١) جمع عاق بالتشديد اسم فاعل من العقوق وقد اخترته على
العاقين على ثقل لفظه لمناسبة معناه، وللإشارة إلى عدم استعمال
عقوبهم في عقوبهم، على ان الادغام يخفف الثقل

حتى أنقذوه. ثم قدر الله تعالى أن تخرجه وزايرة المعارف من الجامعة في العام الماضي في إثر حملة شديدة جديدة في مجلس النواب ، أظهرت للامة من جنائته على طلبة كلية الآداب فيها ما يرى القراء نقضه في هذا الكتاب .

سراً جميع أهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة ، وإنه ليسرهم أن يسمعوا اليوم من الازهر الشريف صوتاً جمهورياً في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، صوت عالم أزهرى ، وأديب عصري ، و كاتب مجيد غير سياسي ، ينقض هذه المطاعن الاخيرة ، وأن يصدر نقضه لها عن دار المنار ، التي أسست من أول يوم لخدمة الاسلام ، فكلانا بريء من سياسة الاحزاب ، فلا نحن من أحزاب الحكومة ولا من أحزاب المعارضين لها ، ولا من خصومهم ولا من خصومها ، وإنما نصر ديننا ، ابتغاء مرضاة ربنا ، فيما يجب علينا لأمتنا ودولتنا .
ونتمنى لو يصرح هذا الطاعن بأن جميع ما صدر عنه من الطعن على القرآن قولاً في الدرس ، وكتابه في الطرس ، كان باطلاً ، وأنه رجع عنه وتاب منه . وأنه يؤمن بأن القرآن كلام الله كله حق (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فإن ما نقل عنه من انه قال انه يؤمن بالله ورسوله

لا يكفي في صحة توبته مما ذكر ، على ان هذه المطاعن التي ألقاها في
دروسه كانت بعد تلك الكلمة التي كان سببها تحقيق النيابة العامة معه
في مطاعن كتابه (في الشعر الجاهلي)

اختار الاستاذ صاحب هذا النقض للمطاعن الاخيرة أن يطبعه
في مطبعة دار المنار لانها أحق به ، وأجدر بنشره ، بل رغب إلي أن
أشركه في أجره ، بما يعين لي من تعليق عليه ، وبمقدمة تصدر له ،
فأقرن كله الطيب بكلمي ، وأعزز قلمه البليغ بقلمي ، وإنها لرغبي محبوبه
للمؤمن بالطبع ، ومظاهرة على الحق واجبة في الشرع ، وتعاون على البر
والتقوى ، أمرنا الكتاب العزيز بها ، وهو قد وفي النقض للمطاعن
الجديدة حقه ، وفقى عليه بما كان من رد له على ما قبلها من خطيئاته ،
فأدى الواجب في جزئيات المطاعن الخاصة وزاد عليه ، وليس علي
إلا أن أقول كلمة وجيزة في النازلة من الوجهة العامة :

الناطقة العصرية من الكتاب

نبغ في الربع الثاني من هذا القرن الهجري نابتة من كتاب
الادب والسياسة والتاريخ ، اقتفوا إثر الافرنج في الاساليب ، وما
يسمونه النقد التحليلي في الكتابة ، ومزج الكلام بالنظريات الحديثة
والمسائل العلمية ، فكان لما يكتبون رواج ووقع حسن عند جميع

المتعلمين على المناهج الحديثة ، وأصاب بعضهم به شهرة بما تنشره
لهم الجرائد التي يؤيدون سياستها وما تقرظه من مصنفاتهم ، ناعته
إياهم بأجل النعمت ، والالقب المحببة إلى النفوس ، وناهيك بدعوى
تجديد حضارة الامة ، وقيادتها إلى حيث تساوي أمم الافرنج في
عظمتها ، وتمتعها بزينة الدنيا وطيباتها .

وإن لبعض هؤلاء الكتاب (مصنفات حرة مستقلة ، وهم الذين
يخمدون العلم والتاريخ والادب بباعث حب التحقيق ، وإن لبعض
آخر) أهواء سياسية وإلحادية ، لمنافع لهم شخصية ، على ما يبتناه في النار
بالتفصيل وأثمرنا اليه آتفاً بالاجمال ، وهو موضوع كلامنا هذا ، وشره
وأضره الطعن على القرآن الحكيم

إذا كان يوجد في الاوربيين من يتمحل الطعن على الاسلام ،
ولا يتنزه عن التسامي إلى انتقاد القرآن ، فلهم على ذلك باعثن :
باعث ديني وباعث سياسي .

ذلك بأنهم رأوا أن الاسلام قد غلب النصرانية على أمرها في
الشرق ، وكاد يقلبها في الغرب أيضاً ، بعد اعتزاز دولها ، واستبحار
ثروة كنائسها ، وإحكام نظمها ، فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن
بلادهم ، وسلبه للملكهم ، وتعريبه لشعوبهم ، إلا محاربتة بالافتراء

عليه والظعن فيه ، وبقاتل أهله بالسلاح ، ثم بالسياسة ، فأحكوا
نظام الحربين بعد التمهيد لهما بتربية الشعوب النصرانية على بغض
المسلمين ، وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو
الاكبر للمسيحية ، وما هو إلا أخو المسيحية وصديقها ، والمدافع
عن حقها ، والتمتع لاصلاحها ، والمبريء لنبيها (ع . م) من ظعن
المفترين وشطاط الغالين .

ويوجد منهم قوم آخرون لا يدينون بدين وقد رأوا من
معجزات القرآن ومن أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر واصلاح
شؤونهم ما يلجئهم إلى الايمان والاذعان ، إذ لم يجدوا لهذه المعجزات
تأويلا ينظمونها به في سمط السنن الكونية ، فتكلفوا التأويل لها ،
لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية ، فهذه أسباب
ظعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة .

وأما المسلم فلا يعقل أن يبعثه شيء على الظعن في كتاب الله وفي
هدي رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وهو برهان الكفر
والردة ، وكبرى الجنايات القاتلة لهذه الامة ، فان خفي عليه برهان
شيء من عقائده ، أو صحة شيء من آياته ، وجب عليه أحد أمرين :
إما الجد في طلب العلم بالبحث عما جهل والسؤال عنه ، وإما تفويض
الامر في ذلك إلى الله تعالى .

بيد أن في المسلمين الجغرافيين زنادقة منافقين، وأن منهم ملاحدة
شاكين، وأن من زنادقتهم غاوين مشككين، يستخدمهم شرازا
أعداء الإسلام الدينيين والسياسيين، وأن منهم من يزلف اليهم بالتشبه
بهم، وبدعوى « التنور » وحرية الفكر والفلسفة، وإن من النابتة
والعامية من ينخدع بشبهات هؤلاء وأولئك، وتفره دعايتهم بما يزينها
من خلاصة القول، ووهم التجديد العصري، والانسلاخ من تقاليد
القديم الذي يصفونه بالخلق البالي، وإن كان كالفلك لا تخلق جدته،
وكالشمس والقمر لا تبلى محاسنه، ولا ينطفئ نوره، وهو القرآن الحكيم
وان لهذا التجديد دعاة من ملاحدتنا يوهمون الدهماء في بلاد
الإسلام العربية والاعجمية أن الافرنج ما صاروا أقوى منا وأرقى
ثروة وحضارة، وتمتعاً باللذات والشهوات، إلا بالانسلاخ من الدين،
فأول ما يجب علينا أن نفعله إذا أردنا أن نكون مثلهم أن نتجرد
أولاً من ديننا، فنكون إباحيين عباداً للشهواتنا، ثم نطلب علومهم
وفنونهم فنكون مثلهم، وهذا غش وخداع بالكذب والبهتان،
فهم أشد من شعوب الشرق كلها إحكاماً لرابطتهم الدينية، وعناية
بتعليم الدين ونشره، وبذل الملايين في سبيله (١)

(١) ان دول اوربة لتجدد العناية بالدين تعليمها وتربية وقد قرأت
اليوم برقية في الصحف بأن حكومة النمسة أمرت بجعل إقامة شعائر
الدين في مدارسها اجبارياً

ولكن لهؤلاء الدعاة للحاد والاباحة شبهات من فلسفة
الافرنج وأصول النقد عندهم يروجون بخلافتها الطعن على القرآن
بما يفترون عليه ، فنحن نشير اليها أولاً ونقفي عليها ، ببطان بناء
تقدم له على قواعدها ، فاذا هي وأهلها كمن قال الله تعالى فيهم
(قَدَّمَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ
خَفَرًا عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)

قواعد النقد العصري

من أصول النقد العلمي الفلسفي للكلام الذي يسمونه النقد
التحليلي أن يعرف أولاً تاريخ صاحبه في مزاجه وتربيته الدينية
والادبية ، وقومه ، وعشرائه ، ووطنه وحكومته ، وأخلاقه ومعيشته ،
وأهله وولده ، وعوارض حياته ، وأطوارها الاجتماعية والسياسية
والشهوانية وغيرها ، فمن المعلوم بالطبع والعقل أن كل ما يعرض
لادراك الانسان ووجدانه يكون له أثر في كلام صاحبه .
فلو كان الانسان مفظوراً على الصدق وألا يقول إلا ما يعتقد ،
وألا يكتب شيئاً مما يعتقد ، وعلى التوفيق بين اعتقاده وما يمارسه
من شعوره ووجدانه ، من حب وبغض ، وخوف وطمع ، لمكان

طريق النقد التحليلي للكلام معبداً مستقيماً قلما يضل سالكه أو يعثر
ولكن الانسان خلق قادراً على الصدق والكذب ، وعرف من
سيرة أفرادهم أنهم يتبعون أهواءهم ومنافعهم في كلامهم فيرجحون
بها الكذب على الصدق ، أو إخفاء الحق على إظهاره ، إما لطلب منفعة
أو لدفع مضرة ، إلا من كان له عقيدة دينية أو حكمة عالية تعصمه من
الكذب الصريح ولو بالتأول ، وقليل ما هم . ولذلك قال بعض
الاذكياء : إنما وظيفة اللسان في الانسان إخفاء الحقيقة عن الناس ،
ولا ريب في أن الشعراء وكتاب السياسة المكتسبين بشعرهم هم
أبرع الناس في الكذب والافك ، وإبراز الباطل في صدق الحق ،
والرذيلة في ثوب الفضيلة ، والعكس . فهذه مدحضة من مداحض
النقد التحليلي في الناقدين والمنتقدين ، تتيح لصاحب البصيرة أن
يظهر خطأ هؤلاء الكتاب عندنا في كثير مما قالوه ويقولونه في
تراجم شعراء العربية ونقد رجال السياسة

ومن هذه المداحض بعض ما يضعونه من الاصول والقواعد الواهية
لطباطح الامم وأحوالها الاجتماعية ويرجعون اليها في تقديمهم ، كالذي
كانت الشعوية تقوله في ذم العرب ، ومثله بعض ما قاله الحكيم ابن
خلدون بسريان دعايتهم في رأيه على استقلاله فيه ، وبني عليه زعمه

أن أكثر حملة العلم في الاسلام من العجم ، دع ما تخرص به بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم في هذا الباب ، وهو ما يعتمد عليه مقلدوهم منافي تقديم التحليلي ، يعرفون بدعوة العرب ومجهلون حضارتها القديمة في جزيرتها ولاسيا السعيدة منها ، وفعل جواليها في الحضارات الكلدانية في العراق والفينيقية في سورية والمصرية في مصر ومن فروع الاغلاط الراجعة إلى هذه الاصول التي أخذها كثيرون بالتسليم فجعلوها من القضايا البرهانية ، قول بعض السابقين إن سبب وضع علماء الاعاجم لأكثر معاجم اللغة العربية ولكتب فلسفتها من النحو والبلاغة هو شعورهم بالحاجة اليها لفهم هذه اللغة التي كان يفهمها أهلها بالسليقة

وهذا قول باطل فمن ثم كان تعليله باطلا ، فإن الواضع لأول معجم لغة هو الخليل بن احمد وهو عربي ، وأكثر واضعي سائر المعاجم من العرب كالفيروزبادي وهو قرشي صديقي ، وابن سيده وهو عربي أندلسي ، وابن منظور وهو عربي أنصاري خزرجي ، ولا تتسع هذه المقدمة للتمثيل لسائر العلوم اللغوية والشرعية ومن فروعها ماجرى عليه الدكتور طه حسين في محاضراته الاخيرة في شعر أبي تمام والبحثري وابن الرومي ، فقد تمحل فيما

حاوله تبعاً لتغييره من إثبات نسب أعجمي لبعض هؤلاء الشعراء
وغيرهم ، وتميز شاعريتهم عن غيرها من شاعرية أقرانهم ، بتأثير
الوراثة الاعجمية في عقولهم وتخيلاتهم ، في إثبات الانساب الاعجمية
لبعض هؤلاء الشعراء نظر تاريخي ظاهر واطرف دلالة الامماء
والالقباب ، والنسبة الى البلاد ، ولكن النظر في إثبات الوراثة
الاعجمية في شعرهم أقوى وأظهر ، فقد أتى على جيل الروم قرون
كثيرة لم يذبح فيها فيلسوف ولا شاعر يقرب بشعراء العرب في
جاهليتهم فضلا عن شعراء حضارتهم ، على ان ملكة الشعر لم تكن
شائعة منتشرة في الروم كالعرب فيرثها اكثر من كان من سلائلهم
روان بعدت من عهد عليهم وحضارتهم

إذا تمهد هذا أقول :

نقد كتاب الافرنج للقرآن والنبي (ص) ومقدم المسلم

ان كتاب الافرنج من دعاة النصرانية والملاحدة قد وضعوا
القرآن المجيد الحكيم والنبي الامي الصادق الامين على مشرحة النقد
التحليلي ، وأعملوا فيهما مداهم ومباضعهم ، وآلات التحليل عندهم ،
اتباعا نقواعدهم وأصولهم التي أشرنا اليها ، فكان عاقبة ذلك أن
آمن من كان سليم الفطرة منهم غير جامد على الافكار المادية بذبوة

محمد ورسالته، وكون القرآن كلام الله تعالى ووحيه اليه صلى الله عليه وسلم وتمحل
بعضهم من التعليل والتأويل للمعجزات والآيات العلية ، ما رام
أقرب إلى الجمع بين المعتاد والمعهود في استعداد البشر العقلي والروحي
وسنن الاجتماع ، وما ثبت في تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم مما هو من خوارق
العادات ، مع اجتناب المبالغة في ذم ولا مدح كوسيو موتيه ،
ومنهم من عرضه في قالب المدح بمثل ما شرحه كارليل في كتابه
(الابطال) ومسيو درمنغام في كتابه (حياة محمد) عليه الصلاة والسلام
وأصرَّ الفريق الثالث على افتراء الكذب والبهتان ، وأعني

بهذا الفريق دعاة الكنيسة ، وأعوانهم من رجال السياسة
فأما هؤلاء الطعانون المفترون فالباعث لهم على عملهم خدمة
ملتهم ودولهم ، وجهاد أقوى عدو لتعاليم كنائسهم وعظمتها على
قاعدتهم المشهورة عنهم بلفظ «الغاية تبرر الوساطة» يعنون ان الجريمة
التي تكون وسيلة الى مقصد حسن كالكنب تكون بهذه النية من
أعمال البر الشريفة ، وهم ماجورون عليه من جمعيات كنائسهم في
الدينا ، والمؤمن منهم بكنيستهم وقاعدتها المذكورة يرجو على عمله
ثواب الآخرة ودخول الملكوت

وأما أولئك الناقدون من علماءهم المستقلي العقل مادحهم

وقادحهم فانهم رأوا أنفسهم تجاه أعظم حادث في تاريخ البشر :
رجل أمي ظهر في قوم أميين مشركين من أبعاد الشعوب عن الحضارة ،
وهداية الديانة ، والتشريع والفتح وسياسة الشعوب ، جاءهم بكتاب فاق
جميع كتب الانبياء والحكماء في عبارته وهدايته ، فجمع به وعليه
كلتهم المتفرقة ، وألف بين قلوبهم على ما كان من إحنة وضعف ،
وهذب طباعهم على كبر السن ، ففتحوا العالم وصاروا أئمة أمم
الحضارة وساداتها وملوكها ، كتاب معجز بأسلوبه ونظمه وعلمه ،
ونبي ذو معجزات في نفسه وأخلاقه وأعماله وأمته ، لا يجرم ان هذا
الحادث التاريخي الاعظم يحتاج إلى فهم ونقد وتمظيم وإكبار . مع
تكلف إدماجه في المعتاد من كبار العقول وأعلیاء الهمم من الناس
وأما مدرس الادب المسلم في الجامعة المصرية التي أسستها
الامة المصرية المسلمة بأموال أغنيائها وأوقافها ، وكفلتها الدولة
المصرية الاسلامية ، فما الباعث له على الطعن في نبيه الكريم ،
وكتاب ربه العلي العظيم ، وجعل الطعن عليهما درسا في الادب
يلتقح به أذهان طلبة كلية الآداب مصر حافيه « بأن الباحث الناقد
والمفكر الجريء لا يفرق بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر »

والمفروض أنه مؤمن بان القرآن كلام الله ووحيه ، فلا يدخل في عموم تلك القواعد الموضوعة لنقد كلام البشر ؟

هل يستطيع مسلم جريء أو متهور ألا يفرق بين كتاب الله وبين أي كتاب أدبي آخر ، وان كان ككتاب ألف ليلة وليلة ، أو خريدة العجائب مثلاً ؟

أم هل يستطيع كافر بالله وكتابه ورسوله وقد أوتي حظاً من بلاغة اللغة أو نصيباً من أدب النفس وعلم الاخلاق ، أو خلافاً من علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ألا يفرق بين القرآن العظيم الحكيم وبين أي كتاب آخر ؟

أم هل يصدق من يدعي عدم التفرقة في قوله ، وقد اقتصر في نقده على الطعن ، وأسرف فيه حتى أربى على أولئك الاعداء الطعانيين بما لا يعقل أنه يعتقدده ، وهو ما يرى القاريء بياناً في هذا النقض ؟ ألا إن من وراء المعقول ان يكون هذا من النقد التزيه ، الذي يعبرون عنه بالبريء ، فما سببه اذا وما الداعي اليه ؟

من هذه المطاعن ما صيبه الجهل بالمي والمدني من السور ، ومنها ما منشؤه الجهل بما يدرك منها بالسمع والبصر ، كالذي زعمه في قصر الآيات في القسم المكي ، وطولها في القسم المدني ، وهو

سما ذكره علماءنا ولم يبينوا سببه ، ونحن نبينه هنا بالابحاز فنقول :
إن طول الآيات وقصرها منوط بموضوعها ، ولا دخل فيه
لمكان نزولها ، فالآيات أو السور التي يراد بها الوعظ والزجر يحسن
فيها أن تكون أقصر من آيات الاحكام ، وهي تكثر في القسم المكي
لأنه هو المناسب لحال المخاطبين ، من المشركين المعاندين ، كما
تكثر الاحكام التفصيلية في السور المدنية لان الخطاب بها للمؤمنين
المكلفين ، على أن الآيات الطويلة التي قال « إن الآية الواحدة منها
تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي » قليلة جداً ، بل لا تظهر
تمام الظهور إلا في آية الاحكام المالية من الدين والرهن وكتابتها
والاستشهاد عليها من سورة البقرة ، فهي أطول آية في القرآن تبلغ
في المصاحف المطبوعة اثني عشر سطرًا ، وهي تزيد على عدة سور
من صغار المفصل التي تتلى في الصلوات القصيرة مكيتها ومدنيها ،
فسورة النصر منها مدنية وهي سطران فقط ، وسورة الزلزلة مدنية
وهي أربعة أسطر ومثلها سورة العاديات والمعوذتين وكذا العصر
في قول وهي سطر واحد

وآيات الاحكام التي قلما تبلغ نصف تلك الآية الطولى قليلة

جداً كما بقي المواريث في سورة النساء ودونها الآية التي في آخرها ، وآية
الوضوء وآية الوصية في السفر من سورة المائدة ، وما عدا ذلك من
آيات السور السبع الطول والمئين معتدل بين الطول والقصر ، ومنها
المكي والمدني ، وإنما تكثر الآيات القصيرة في قسم المفصل من
القرآن الحكمتين (أولاهما) أن أكثره وعظ وزجر وعبر ، وسوره
أكثرها مكي وهو المناسب لمقتضى الحال في مكة وأهلها لما كان
عليه أكبر أهلها في جحودهم وعنادهم وطول باعهم في البلاغة ،
لا لأنحطاط بيئتهم وسذاجتهم كما زعم ، فانهم كانوا أرقى العرب
ذكاءً ونباهةً وبلاغةً

(وثانيتها) أنه أكثر ما يتلى في الصلوات فرضها ونفلها ، تطويلها
وقصيرها ، فالمناسب أن تكون آياته قصيرة وسوره قصيرة أو متوسطة
ليكون كل ما يقرأ منها مستقلاً بالفائدة المتدبرة ، والطاعن الجاهل كل
هذا على ظهوره لأن درس التفسير وحكمة القرآن لم يكن مما يعنى به
ومن هذه المطاعن ما سببه الجهل بفنون البلاغة أو الغفلة عنها
أو تقليد الأفرنج وهو ما عبر عنه بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني ،
وقد سبقه إليه مستر ساييل وغيره ، ولا يتسع هذا المقام لبيانها
تكلف المقاد من الأفرنج قبله أن يجدوا فرقاً بين السور المكية

والمدينة وبين أخلاق النبي وأحواله في مكة إذ كان فقيراً ضعيفاً ،
ثم في المدينة بعد أن صار غنياً قويا ، وما كان شرعاً في البلدين إلا شرعاً
في إبطال الباطل وإحقاق الحق ، ، وتقرير قواعد الإصلاح وإقامة
ميزان العدل ، وما كان في الخالين إلا مثلاً في الخلق والعمل ،
«والشمسُ رَأَد الضحى كالشمس في الطَّفَلِ» وما كان مكي القرآن
ومدنيه إلا سواء في البلاغة المثلى على ما قيل في تعريفها من مطابقة
الكلام لمقتضى الحال ، وعلى ما نقول من أنها عبارة عن بلوغ المتكلم
به ما يريد من إصابة موقع الاقتناع من العقل ، والوجدان من القلب .
(أَلرُّ * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)
فكان مقتضى الحال في مكة وأهلها مشركون منكرون للبعث
مستكبرون بما لهم من الثروة والرياسة في العرب ، في الذروة من
بلاغة اللسان ، ولوذعية الأذهان ، وجرأة الجنان - أن يخاطبوا
بالنذر القارعة ، والحجج الصادقة ، بأبلغ العبارات ، وأفصح
البيانات ، في الدعوة إلى التوحيد ، وأصول الدين ، وقواعد التشريع
وعقائل الفضائل ، وهو ما أملت ببيانه في مقدمة الطبعة الثانية
للمجلد الأول من المنار ، التي كانت في سنة ١٣٢٧ هـ إذ قلت :

« قد اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل وقرع الاذهان
بالخطايات الصاعدة من القرآن الحكيم ، فان أكثر السور المكية
ولاسيا المنزلة في أوائل البعثة قوارع تصخُّ الجنان، وتصدع الوجدان،
وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف ، وتدع العقول إلى إطالة الفكر،
في الخطبين الغائب والعتيد، والخطرين القريب والبعيد، وهما عذاب
الدنيا بالابادة والاستئصال ، أو الفتح الذاهب بالاستقلال، وعذاب
الآخرة وهو أشد وأقوى ، وأنسى وأخزى، بكل من هذا وذاك،
أنذرت السور المكية أولئك الخطاطين إذا أصروا على شركهم، ولم
يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وإفكهم ، وبأخذوا بتلك الاصول
المجملة ، التي هي الخنيفية السمحة السهلة ، وليست بالشيء الذي
ينكره العقل ، أو يستثقله الطبع ، وإنما ذلك تقليد الآباء والاجداد،
يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد

« راجع تلك السور العزيزة ولاسيا قصار المفصل منها كالحاقة
ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة ، وإذا وقعت الواقعة ، وإذا الشمس
كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت ، والذاريات
ذرواً ، والمرسلات عرفا ، والنازعات عرفا .
تلك السور التي كانت بنذرهما ، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها ،

تفزعهم من سماع القرآن ، حتى يفروا من الداعي صلى الله عليه وسلم من مكان إلى مكان (٧٤ : ٥٠ كَأَنَّمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * ١١ : ٥ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ثم ارجع إلى السور المكية الطوال ، فلا تجدها تخرج في الاوامر والنواهي عن حدالاجمال ، كقوله عز وجل (١٧ : ٢٣ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) - إلى الآية ٣٧ منها ، وقوله بعدإباحة الزينة وإنكار تحريمها وتحريم الطيبات من الرزق (٧ : ٣٢ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿ قصص القرآن ومزاياها ، والتشريعان الاسلامي والاسرائيلي ﴾

هذا وما امتازت به السور المكية قصص الرسل عليهم السلام مع اقوامهم وما في معانيها من اصول دين الله العام ، ومن بيان سننه تعالى في الأقسام ، ومن العبر والمواعظ في التهذيب ، ونزاهتها من كل ما يخل بالاداب ، ومن سوء القدوة في الاخلاق والاعمال ، وهي تفضل بذلك كله قصص التوراة كما فصلناه في تفسير المنار ، وكذلك

تفضلها وتفضل سائر كلام البشر بما في نظم عباراتها ، واختلاف أساليبها ، من روعة البلاغة ودلائل الإعجاز الخاصة بها ، وناهيك بإيرادها في بعض السور بمتنهي الإيجاز والاقتصار على موضع العبارة ، وفي بعضها بالأسهاب والبسط المشتمل على كثير من أصول الهداية وسنن الاجتماع وأممات الفضائل — وفي بعض آخر بما هو وسط بينهما ، مع اختلاف النظم والاسلوب والفواصل في كل منها بما يتجلى به الإعجاز أظهر التجلي من ناحية البيان ، فوق الإعجاز من ناحية الاخبار بالغيب، وتصحيح أغلاط التاريخ المأثور عند أهل الكتاب ، وبيان خلاصة دين الله (الإسلام) في العقائد والهداية التي جاء بها الانبياء عليهم السلام، ونزاهتهم عما وصمتم به كتب اليهود من النقائص والآثام .

ولو أن هذه القصص جاءت في السور المدنية لقال المغرور بفلسفة تقدمه التحليلي : إن محمداً أخذاً كثراً من التوراة لان أهل مكة كانوا يجهلونها، بل كانوا يجهلون هذا النوع القصصي في كلامهم تاريخيه ووضعيه ، وقد عدوا هذا من عيوب الشعر العربي ونقصه عن شعر الأعاجم — وكانت هذه الشبهة على قوله هذا أدنى أن تشتهه على طلبة الجامعة المصرية والعوام ، من شبهته على وجود

تشريع الاحكام الشخصية المالية والزوجية في القسم المدني، فان الفرق بين التشريعين الاسلامي والاسرائيلي في هذين النوعين وفي غيرهما عظيم جداً، كما أن سبب تفصيله في المدينة دون مكة واضح جداً ، وهو أن التشريع العملي مرتبط بسلطان الحكم التنفيذي فلا تشريع لمن لا يملك حكم التنفيذ ، فالاسلامي أرقى وأعلى من الاسرائيلي من كل وجه ، وناهيك بكونه تشريعاً عاماً لجميع البشر في جميع الأزمنة والامكنة ، ومن أسسه المساواة في الحق والعدل بين جميع الشعوب والقبائل ، وجميع الافراد فيهما ، لا يميز فيه بين ملك وسوقة ، ولا بين شريف ووضيع ، أو غني وفقير ، أو قوي وضعيف ، والتشريع الاسرائيلي خاص بشعب خاص مبني على تفضيله على جميع الشعوب بنسبه (الحكمة موقوتة بينها في مواضع من تفسير المنار) فلا يستطيع هذا الشعب نفسه تنفيذه في هذا العصر إن عاد له الملك الذي يسعى له ، بل هم قد تركوا معظم أحكامه من قبل أن يفتقدوا الملك ، والقرآن يعيب عليهم تحريف كتابهم وجعلهم به ، وعدم إقامته ، وإيمانهم ببعضه وكفرهم ببعض ، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن النظر في كتبهم ، وأخبرهم أن نبيهم موسى (ع.م) لو كان حياً لما سمعه إلا اتباعه ، لأنه خاتم النبيين الذي جاء بالدين الكامل والشرع العام

لجميع البشر ، كما بشر الله به موسى في التوراة ، وكما بشر به عيسى
(ع.م) المصلح في شريعته . زد على هذا نعيه عليهم فساد أخلاقهم
ولاسيما الحسد ، والبخل ، وأكل السحت ، واستحلال أكل أموال
الناس بالباطل ، ووصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعقلون
ألا يستحي من يعلم هذا من مؤمن بالقرآن وني القرآن أو كافر
حر الفكر أن يفضل السور المدنية على المكية بتأثير مجاورة اليهود
— وهذا حكمه عليهم — ويدعي استمداد المهاجرين من ثقافتهم
وتشريعهم ، وهم الذين أصلحوا جميع شعوب البشر بهداية القرآن ،
والتأسي بأكمل الخلق على الإطلاق ؟ ؟ وقد أجمع مؤرخو الأفرنج
وغيرهم على أن أظهر أسباب نجاح الإسلام في انتشاره السريع وفتوحه
الكثيرة الظافرة ما كان عليه أهل الملل كلها من فسوق وفساد ،
والدول كلها من ظلم واستبداد .

هذا ما يتسع له المجال من الفرق بين السور المكية والمدنية
بالاجمال ، وقد التزمنا في تفسير المنار أن نكتب في آخر تفسير
كل سورة خلاصة كلية لما في السورة من الأصول والقواعد العامة
التي تشمل عليها ، ومنها الفرق بين المبني والمدني بالتفصيل
فمن راجع خلاصة سورة الأعراف المكية في الجزء التاسع من

تفسير المنار يرى في باب توحيد الله إيمانا وعبادة وتشريعا ١٢ أصلا
وفي باب الوحي والرسالة ٢٤ أصلا ، وفي باب عالم الآخرة والبعث
والجزاء ١٢ أصلا ، وفي باب أصول التشريع ٩ أصول ، وفي باب
آيات الله وسننه في الخلق والتكوين ١٤ أصلا ، وفي باب سنن الله
تعالى في الاجتماع وال عمران ٧ أصول

تم إذا راجع خلاصة سورة الأنفال المدنية في الجزء العاشر
يجد في أولها مقدمة في الفرق بين السور المكية والمدنية هذا نصها :

« ينبغي أن يتذكر القاريء أن جل السور المكية في أصول الايمان
الاعتقادية من الألهيات والوحي والرسالة والبعث والجزاء وغيرهما
من عالم الغيب ، وقصص الرسل مع أقوامهم. وبلي ذلك فيها أصول
التشريع الاجمالية العامة ، والآداب والفضائل الثابتة ، كما بيناه في
خلاصة كل من سورتي الأنعام والأعراف ، ويتخلل هذا وذاك
محااجة المشركين ودعوتهم إلى الايمان بتلك الأصول ودحض
شبهاتهم ، وإبطال ضلالاتهم ، وتشويه خرافاتهم

وأما السور المدنية فتكثر فيها قواعد الشرع التفصيلية ، وأحكام
الفروع العملية ، بدلا من أصول العقائد الايمانية ، وقواعد التشريع
العامة المجملة ، كما تكثر في بعضها محااجة أهل الكتاب ، وبيان ماضلوا

فيه عن هداية كتبهم ورسلمهم ، ودعوتهم إلى الايمان بخاتم الرسل
صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وفي بعضها بيان ضلالة
المنافقين ومفاسدهم كما يرى القاريء لسور المدنية الطول الأربع (جمع
الطولى) المتقدمة ، وكل من هذا وذاك يقابل مافي السور المكية من
بيان بطلان الشرك وغواية أهله

في سورة البقرة تكثر محاجة اليهود وفيها تذكير كثير بقصة موسى
معهم ، وفي سورة آل عمران تكثر محاجة النصارى ^(١) وفي سورة المائدة
تكثر محاجة الفريقين ، وفي سورة النساء تكثر الاحكام المتعلقة بالمنافقين ،
ويليها في فصائح المنافقين سورة التوبة الآتية . وتكثر في هذه السور
الثلاث أحكام القتال ، كما تكثر في هذه السورة (أي سورة الانفال) اه
ثم إذا راجع خلاصة سورة براءة (التوبة) المدنية يجد في
أولها ما نصه : « هذه السورة آخر السور المدنية الطول نزولا
فيقل فيها ذكر أصول الدين وما يناسبها من الحجج العقلية والسنن
الكونية ، وكذا أنواع العبادات البدنية اه

ثم إذا هو قرأ الأبواب والفصول التي لخصنا فيها مافي السورتين
من الاصول والقواعد يجد أكثرها في قواعد التشريع الخاص بالقتال
(١) كان سبب هذا مجيء وفد نصارى نجران ومحااجة النبي (ص) لهم

والصلاح والعهود ، وأحكام المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في ذلك ، وكذا القواعد والاصول المالية ، وكل ذي إدراك يفهم أن هذا كله لا يعقل أن يكون إلا في القسم المدني دون المكي

الحروف المفردة في أوائل بعض السور

إن هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلي في الادب ، وقد فند الاستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه ، وذكرنا فيما علقنا عليه في حاشيته ما سبقه اليه بعض المستشرقين منه ، ونذكر هنا المختار عندنا في هذه المسألة ، وهو ما كتبناه في تفسير (المص) من أول سورة الاعراف في الجزء الثامن من تفسير المنار وهو :

﴿ المص ﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف ، ولكنها تقرأ بأسماء هذه الاحرف ساكنة هكذا : ألف . لام . ميم . صاد . والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأماهاها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى اليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء . فهي كاداة الافتتاح « أ لا » وها التنبيه ، وإنما خصت سور معينة من الطول والمئين

والثاني والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي ﷺ كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الاسلام وإثبات الوحي والنبوة ، وكلها مكية إلا الزهراوين البقرة وآل عمران — وكانت الدعوة فيهما موجهة إلى أهل الكتاب — وكلها مفتوحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن ، وفي كل منها معنى مما في هذه السور يتعلق بإثبات النبوة والكتاب .

فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيى وزكريا المشابهة لها، ويتلوها ذكر رسالة إبراهيم وموسى واسماعيل وإدريس مبدوءاً كل منها بقوله تعالى (واذكر في الكتاب) والمراد بالكتاب القرآن . فكأنه قال في كل من قصة زكريا ويحيى وقصة مريم وعيسى (واذكر في الكتاب) وذكر هذه القصص في القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم هذا لاهو ولا قومه كما صرح به في سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) وكما قال في آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع إخوته (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وختمت

هذه السورة « أي سورة مريم » بابطال الشرك وإثبات التوحيد
ونفي اتخاذ الله تعالى للولد ، وتقرير عقيدة البعث والجزاء . فهي بمعنى
سائر السور التي كانت تتلى للدعوة ويقصد بها إثبات التوحيد والبعث
ورسالة خاتم النبيين وصدق كتابه الحكيم

وأما سورة المنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت
بعد « ألم » بذكر أمر من أهم الامور المتعلقة بالدعوة ، فالاول الفتنة
في الدين وهي إيذاء الاقوياء للضعفاء واضطهادهم لأجل إرجاعهم
عن دينهم بالقوة القاهرة . كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفثون
نور الاسلام ويبطلون دعوته بفتنتهم للسابقين اليه ، وأكثروا من
الضعفاء الذين لاناصر لهم من الاقوياء بحمية نسب ولا ولاء . وكان
المضطهدون من المؤمنين يجهلون حكمة الله بظهور أعدائه عليهم . فبين
الله في فاتحة هذه السورة أن الفتنة في الدين من سنه تعالى في نظام
الاجتماع يمتاز بها الصادقون من الكاذبين ، ليمحص الله الذين آمنوا
ويعحق الكافرين ، وتكون العاقبة للمتقين الصابرين . فكانت
السورة جديدة بان تفتتح بالحروف المنبهة لما بعدها .

والامر الثاني الذي افتتحت به سورة الروم هو الانباء بأمر وقع
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولما يكن وصل خبره الى قومه - وبما سيعقبه مما هو

في ضمير الغيب، ذلك أن دولة فارس غلبت دولة الروم في القتال الذي
قد طال أمره بينهما فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك وبأن الامر سيدون
وتغلب الروم الفرس في مدي بضع سنين . وبأن الله تعالى ينصر في
ذلك اليوم المؤمنين على المشركين ، وقد صدق الخبر وتم الوعد ،
فكان كل منها معجزة من أظهر معجزات القرآن، والآيات المثبتة
لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام . ولو فات من تلاها عليهم النبي
ﷺ كلمة من أولها لما فهموا مما بعدها شيئاً، فكانت جديرة بأن تبدأ
بهذه الحروف المسترعية للاسماع ، المنبهة للاذهان ، وكان هذا بعد
انتشار الاسلام بمض الانتشار ، وتصدي رؤساء قريش لمنع
الرسول ﷺ من الدعوة وتلاوة القرآن على الناس ، ولا سيما في
موسم الحج . وكان السفهاء يلغظون إذا قرأ ويضخبون (٢٦.٤١)
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)
وأما سورة « ن » ففاتحتها وخاتمتها في بيان تعظيم شأن الرسول
صاحب الدعوة ﷺ ودفع شبهة الجنون عنه الخ
وقد بينت بعدما ذكر حكمة هذا التنبيه الذي كان من إصلاح
القرآن في أساليب اللغة العربية، وكونه مما يقتضيه علم النفس، وبلاغة
القول، وتأثير الخطاب ، فيراجع في التفسير فإنه مهم جداً

نصيحة إسلامية واجبة

قد علمت أيها المسلم القاريء لهذه المقدمة وهذا الكتاب أن الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولا باخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والتشريع ، وإذ كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ، ولا علم هدايته وتشريعه ، إلا عن خواص العلماء بتفسيره ، ويجب عليه أن يرجع إليهم فيما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأي فيه يخفى عليه أما دعاية التجديد التي يبشها الملاحدة الاباحيون بعضهم لبعض ويخدعون بها التلاميذ الاغرار ، والمفتونين بتقليد الافرنج فيما يسهل عليهم من طرز (جمع طراز) الزينة والشهوات ، فليخبرونا أي شيء جديد جاءوا به مما يرقى الامة في آمحادها وأخلاقها وقوتها وعزتها لنبين لهم خطأهم فيه ، ونحن نقول إنهم ماجأوا بشيء جديد نافع قط ، بل بالضار ، أو أضر الضر المفسد للامة كما بيناه آنفا على أنه غير جديد ، بل هو الذي أفسد أم الحضارة القديمة وأسقط دولها ، وعقلاء أم أوربة يخافون سقوطها بمقتضى سنة الله فيمن قبلها . وأما الاسلوب العصري في النقد الذي اعترفنا بحسنه في جملته

فهو قديم أيضا وأول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون ، وجرى عليه شيخنا الاستاذ الامام في رده على موسيو هانوتو بما حمل هذا الوزير على اعتذاره للامام ، وجرى عليه أيضا في مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية الذي طبع مراراً ، ومنه هذا النقض وأما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الادب اللغوي والتاريخ فمنه الصحيح المقبول ، ومنه الزائف المردود ، وان تطبيق الحكم على الصحيح منها قديكون خطأ ظاهراً ، وقد يكون محل نظر واستدلال ، كما وقع للحكيم ابن خلدون واضع هذا الفن . وهذا شأن جميع علماء النظر العقلي والشرعي وغيرهم ، فان خطأ الفقهاء في تطبيق الحكم على قواعد الاصول أكثر من خطئهم في القواعد نفسها

ومن راجع ما كتبه بعض الخذاق في النقد التحليلي التفصيلي الكتاب (في الادب الجاهلي) علم قيمة بضاعته المزجاة فيه ، والتقليد المحض لكبار الحكماء والعلماء ينافي العلم الصحيح في القول بتقليد من دونهم ، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَبَابِ)

منشئء مجلة المنار

محمد رشيد رضا

نقح مطبوعته

في القراءات الكريمة

يتضمن تفصيلاً ألقاه الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب
في الجامعة المصرية

بقلم

محمد أحمد عفيفي

وكيل كلية الشريعة الإسلامية

وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا

صاحب المنار

(الطبعة الأولى في سنة ١٣٥١)

مطبعة المنار بمصر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اللهم كما هديتنا الى الخير فأعنا على الدعوة اليه ، وكما
عرفتنا الحق فوفقنا الى تعريفه للضالين عنه، وكما أريتنا المعروف
معروفاً ، والمنكر منكراً ، فاجعلنا من الآمرين بالمعروف ،
والناهين عن المنكر ، اللهم علمتنا فأيدنا بروح من عندك
لنذيع ما علمتنا .

اللهم ثبت قلوبنا لنصدع بالحق ، وهب لنا العزم
والشجاعة لنجهر بالصدق ، وطهر نفوسنا من حب المال والجاه
لنقول ما نعتقد ، ولو باعد ذلك بيننا وبين المال والجاه
اللهم أوزينا في سبيلك فكادت عزائمنا تخور ، وقوانا تهين ،
وارادتنا تفل ، فشد من عزائمنا ، وقوّ من إرادتنا ، وارزقنا
من الصبر ما نحتمل به الاذى والمكروه في سبيل الدعوة الى
الخير ، اللهم اجعلنا ممن علم فعلم ، ولا تجعلنا ممن علم فكتم ،

فقد قلت في كتابك (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من بينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون)

أما بعد. فإن الاسلام قد مني بقوم من أهله، وقوم من
دعاة الاديان الاخرى، ناصبوه الحرب، وراشوا له النبال،
وسددوا اليه السهام، فأثاروا حوله الشبه، وأكثروا فيه من
الطعن، وعمدوا الى القرآن الكريم فرموه بالافك، وافتروا
عليه الكذب، ورموه بعيوب هو منها براء، وكان من أشد
هذه الطعون في القرآن فحشا وبطلانا طعون ذكر في مجلس
النواب أنها لاحد أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية

وإنها مع فحشا وبطلانها لم يفندها أحد من أهل العلم
(فيما نعلم) فرأيت أن أناقشها، وأبين بطلانها، فكتبت في ذلك
كلمة وأتبعتها كلمة أخرى أبين فيها ضرر الاتحاد بالامة،
وخطر السياسة الاحادية في التعليم، ليرفق الدعاة اليها بأمتهم
ويشفقوا عليها، أو ليعلم الناس ضررهم فيتقوا ما يصنعون

الطعن على القرآن العظيم

(في الجامعة المصرية)

ألقى النائب المحترم الدكتور عبد الحميد سعيد بيانا في مجلس النواب في دورة سنة ١٩٣٢ عن موقف الدكتور طه حسين أحد أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية تجاه القرآن الكريم، جاء فيه أن هذا الاستاذ أملى على التلاميذ في سنة ١٩٢٧ نقداً للقرآن وقد ذكره بنصه وهو

« وصلنا في المحاضرة الماضية الى موضوع اختلاف الأساليب في القرآن . وقررنا أنه ليس على نسق واحد، واليوم نوضح هذه الفكرة فنقول : لاشك أن الباحث الناقد، والمفكر الجريء، الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر، يلاحظ أن في القرآن أسلوبيين متعارضين لا تربط الاوّل بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا الى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، أو تأثر ببيئات

متباينة . فثلا نرى القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات
الأوساط المنحطة ، كما نشاهد أن القسم المدني أو اليثربي تلوح
عليه أمارة الثقافة والاستنارة .

فأتم إذا دققتم النظر وجدتم القسم المكي يتفرد بالعرف
والشدة ، والقسوة والحدة ، والغضب والسباب والوعيد والتهديد
مثل (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وامرأته حمالة الحطب)
(والعصر إن الانسان لفي خسر) (فصب عليهم ربك سوط
عذاب إن ربك لبالمرصاد) (كلا لو تعلمون علم اليقين
لتروُنَّ الجحيم)

ويمتاز هذا القسم أيضا بالهروب من المناقشة ، وبالخلو من
المنطق فيقول (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون)
الى قوله (لکم دینکم ولی دین)

ويمتاز كذلك بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني وقصر

الآيات ، والخلو التام من التشريع والقوانين ، كما يكثر فيه
القسم بالشمس والقمر والنجوم والفجر والضحى والمصر
والليل والنهار والتين والزيتون - الى آخر ما هو جدير بالبيئات
الجاهلة الساذجة التي تشبه بيئة مكة تأخرًا وانحطاطًا

« أما القسم المدني فهو هاديء لين وديع مسالم ، يقابل
السوء بالحسنى ، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة ، والبرهان
الساكن الرزين ، فيقول (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)
ويهجر مع اعتدائه الترهيب والقسوة ، ويسلك سبيل الترغيب
والتطميع في المكافأة ، فيقول (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) ان سبيل الله هو سبيل التمام

(كما ان هذا القسم ينفرد بالتشريعات الاسلامية
كلوارث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع وسائر
المعاملات ، ولا شك ان هذا اثر واضح من آثار التوراة والبيئة

اليهودية التي ثقفت المهاجرين الى يثرب ثقافة واضحة، يشهد بها هذا التعبير الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن .

أما طول الآيات في هذا القسم فهذا أمر جلي ظاهر لأن إحدى آياته قد تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي أما أفكاره فهي منسجمة متسلسلة ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية . وعلى الجملة فإن ما في هذا القسم المدنى من هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ بدل دلالة صريحة على ان الظروف التي أحاطت بهذا الكتاب أبان نشأته قد تطورت تطورا قويا .

هناك موضوع آخر يجب أن أنبهكم اليه وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبدىء بها بعض السور مثل ، ألم ، ألر ، طس ، كهيمص ، حم ، عسق الخ . فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التحويل ، أو إظهار للقرآن في مظهر عميق مخيف ، أو هي رموز وضعت لتميز بين

المصاحف المختلفة التي كانت موضوعة عند العرب . فمثلا
(كهييص) رمزا لمصحف ابن مسعود (حم عسق) رمزا لمصحف
ابن عباس (طس) رمزا لمصحف ابن عمر ، وهلم جرا ، ثم
ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا « اه

﴿ الحاجة إلى تفنيد هذه المطاعن ﴾

علمنا إذن أن هذه الطعون في الكتاب الكريم كانت
تلقى في الجامعة المصرية كعلم يدرس في مدارس الحكومة
المصرية ، وأن عقولا من أبناء المسلمين قد دخلت فيها هذ
الافكار ، فماذا فعلنا لتطهير عقول هؤلاء التلاميذ منها ؟
هل كتب أحد ما ينقض تلك الطعون ويزيفها ، ويضع
ما كتب في أيدي تلاميذ الجامعة المصرية ليعلموا ان هذا
المحاضر كان يتفاهمهم ، ويخالف الحقيقة والتاريخ ليخدعهم عن
دينهم ؟

إن الشبهة قد أقيمت الى التلاميذ وهم لم يدرسوا

القرآن دراسة تمكنهم من دحضها . ولا تزال عالقة بعقولهم
تشككهم في دينهم . ولم يجدوا أحدا من رجال العلم ولا من
رجال الدين ينقض هذه المزاعم بالحجة البالغة، والبرهان المنطقي،
ويناقشها مناقشة علمية هادئة .

نعم انهم قد وجدوا أولي الأمر قد فصلوا هذا الاستاذ
من كلية الآداب بالجامعة، ولكن ليس ذلك في قليل ولا كثير
من نقض طعنه وخذش مذهبه . بل ربما وقع في نفوس
بعض التلاميذ أن أولي الامر لم يقدرُوا على هدم رأيه بالحجة
فعمدوا الى القوة، وما كانت القوة يوما من الايام بنافعة في
هدم رأي ودحض مذهب

علمنا هذا كله، وعلمنا أيضا أن هذا الطعن في القرآن
حكى في مجلس النواب المصري، وسمعه أعضاء المجلس والوزارة،
وطبع في مضبطة المجلس، وتناقلته الصحف والمجلات، وقرأه
الناس في البلاد العربية، وربما ترجم الى بعض اللغات الاجنبية.

ولكنهم لم يقرؤوا مناقشة له ولا دحضا

أما كان من الواجب الحتم علينا لابنائنا في الجامعة الذين
نخاف على أقدامهم أن نزل بعد ثبوتها ، وعلى عقيدتهم أن
زلزل بمد رسوخها ، أن ندلهم على بطلان هذه المطاعن وعلى
مكان زيفها ؟ وان نقول للباطل هذا باطل ، وندل الناس على
بطلانه . وأن نقول للفت الساقط هذا غث وساقط ونقيم
الدليل على غثائه وسقوطه . بلى كان يجب علينا ذلك لآبناء
الجامعة ولجمهرة القراء الذين قرؤوا الطعن . وللعلم والتاريخ
والدين الاسلامي المجيد .

لم يقم أحد بهذا ولا بجزء منه . أجذب في العقول
فليست تتمر ؟ أقوة في الشبهة فلم يوجد لها داحض ؟ أم شك
العلماء في فهم القراء وعدهم فظنوا أنهم لا يعرفون الحق
إذا دلوا عليه ، ولا قبح القبيح إذا نهوا اليه وليسوا ينصفون
القاتل إذ يحكمون له أو عليه ؟

أما أنا فقد وثقت بعقول الناس، واطمأنت الى عدلهم،
فلمست أعتقد أن أحداً ربه الليل، وتنبهه الى ظلامه ودُجنته
ولا يدرك ما فيه من ظلام ودُجنة، أو تريحه النهار وضوءه
ولا يدرك ما فيه من نور وضياء. وأعتقد أن عدلهم يأبى
عليهم ألا أن يقولوا ما يعتقدون، ويؤمنوا بما يعلمون، فليس
الذنب اذن ذنب الناس، انما الذنب ذنب أهل العلم إذ تركوا
الناس في عمية من أمرهم، ولم يزجروا المبطلين عن غيرهم.
حتى أخذ الباطل في صولته، وانزوى الحق في جلالته.

بهذه الثقة، وهذا الاطمئنان الى عدل الناس وفهمهم.
أتقدم الى القراء بنقد علمي لتلك الطعون الموجهة للقرآن
الكريم، وسأكون واضحاً مفهوماً، أتجنب التعقيد والمداورة.
فان كسبت اقتناع الناس فذلك ما أريد، والا فليست أحملهم
ذمًا ولا لوماً، وانما أحمل نفسي الذم واللوم، وأجعل التبعة
علي لا عليهم.

وأعد القراء وعدا صادقا (ووعده الحر دين عليه) ألا
أخضع هذا النقد الالعلم وحده ، والالتحاكم فيه الال
قضايا المنطق ، وما أثبتته التاريخ ، والالقول فيه هذا كفر ، أو
هذا يخالف الدين ، وإنما أقول هذا يناقض الواقع ، ويخالف
التاريخ ، لئلا يقولوا : نحن نبحت بحناء علميا ، وأنت تخضعنا للدين .
فأنا أناقشهم في هذا النقد كما يناقش رجل رجلا آخر نقد
كتابا من غير الكتب المقدسة ، فيعرض نقده على الكتاب ليرى
أهو يطابق الواقع أم يخالفه ؟ ولا يجعل من أدلته أن هذا
الكتاب مقدس لا يليق أن يطعن فيه هذا الطعن ، أو أنك
كفرت بهذه الجرأة المنكرة وخرجت عن قواعد الدين . هذا
وعد قطعه على نفسي ، فلا يقولن أحد بعد ذلك : هذا تفكير
حر - فليس معنى حرية التفكير الال التقيد المرء بقواعد العلم ،
وأن يخرج عن قضايا العقل وينافر المنطق والبرهان
وسيكون شأني مع النقد لال مع الناقد ، وسأرد عليه

كشبهة لم يعرف قائلها ، وسأعرض للشبهة دون أن أعرض
لصاحبها، ليعلم الناس أنني إنما أردت خدمة العلم لا التشفي من
أحد ، فاذا انتهيت من اقامة الدليل عرفت الناس منزلة هذا
الناقد من البحث ، ومبلغه من العلم

تلخيص المطاعن

« يتضمن هذا الطعن في القرآن أموراً :-

(١) أن القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة وبالخلو
من المنطق فيقول (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون)
إلى قوله (لکم دینکم ولی دین) أما القسم المدني فيناقش الخصوم
بالحجة الهادئة ، والبرهان الساكن الرزين ، فيقول (لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدنا)

(٢) ان القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الاوساط
المنحطة كالمنف والشدة ، والقسوة والحدة ، والغضب والسباب
والوعيد والتهديد ، مثل (تبت يدا أبي لهب) (والعصر إن الانسان

لني خسر) (فصب عليهم ربك سوط عذاب) (كلا لو تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم) أما القسم المدني فهادي، لين، وديع،
مسالم، يقابل سوء بالحسن، وينافس الخصوم بالحجة الهادئة

(٣) ان القسم المدني يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني،

وقصر الآيات، وخلو النام من التشريع والقوانين، كما يكثر

فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم. أما القسم المدني فأفكاره

منسجمة، متسلسلة، ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية،

وفيه هدوء، ومنطق، وتشريع، وقصص، وتاريخ، وفيه

التشريعات الاسلامية كالمواريث، والوصايا، والزواج،

والطلاق، والبيوع، والمعاملات

(٤) لاشك أن هذا الرقي الذي حدث للقرآن في القسم

المدني أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التي تنفت

المهاجرين الى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التطور الفجائي

الذي ظهر على أسلوب القرآن، وهذا يتضمن أن النبي تعلم من

اليهود وأن القرآن من عمله، فلما اكتسب ثقافة من اليهود ظهر ذلك في أسلوب القرآن المدني

(٥) ان الحروف العربية غير المفهومة المفتوح بها أوائل بعض السور ، اما أن يكون قصدها التعمية، أو التهويل، أو اظهار القرآن في مظهر عميق مخيف ، أو هي رموز تميز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا

النقض و التفنيك

(١) الفرق بين المكي والمدني من القرآن

أصبح أن القسم المكي من القرآن كان خاليا من المنطق، وكان يهرب من المناقشة، وأن القسم المدني هو الذي كان فيه الحجة والبرهان؟.

اننا نجيب على ذلك (أولا) بتسايم أن القسم المدني فيه برهان ومنطق ، و (ثانيا) بأن القسم المكي كذلك مقوم بالمنطق والبرهان ، وأنه ما كان يهرب من المناقشة بل

كان يقرع بالحجة ، ويصول بالدليل ، وإن الناقد نفسه ليعيننا على نفسه ، ويقدم لنا الدليل على نقض قوله ، فهو يلقي اليد بأن قول الله (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فيه حجة هادئة ، وبرهان ساكن رزين ، ولكنه يزعم باطلا أنها من المدني ،
لامن المكي

ونحن نقول له وللناس جميعا : إنها مكية لا مدنية ، وإثبات ذلك سهل يسير ، فتلك الآية من سورة الانبياء ، وسورة الانبياء مكية ، ارجعوا الى أي كتاب من تلك الكتب التي ميزت المكي من المدني تجدوا ذلك موضحا ، بل ارجعوا الى أي مصحف من المصاحف تجدوا هذه الآية في سورة الانبياء ، وتجدوا سورة الانبياء قد كتبت في أولها أنها مكية ، وآياتها ١١٢ آية ، وأنها نزلت بعد سورة ابراهيم

فان لم يكف هذا وأيتم الا أن تسموا أقوال المؤرخين الذين ميزوا المكي من المدني نقلنا لكم مآلوه

قال نخر الدين الرازي في تفسيره : سورة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام مائة واثناعشرة آية مكية . وقال السيوطي
في أسباب النزول : انها مكية

وقال صاحب روح المعاني : انها نزلت بمكة ، كما أخرجه
ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم ، وفي
البحر أنها مكية بلا خلاف ، وأطلق ذلك فيها واستثنى منها
في الاتقان قوله تعالى (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها) الآية
وقال الشهاب على البيضاوي : انها مكية بالاتفاق ،
وسميت بذلك لذكر قصص الانبياء فيها اه

فأتم ترون أن علماء هذا الشأن قد حكوا الاتفاق على
أنها مكية ، ولم يحك أحد أن فيها آية مدنية إلا السيوطي فانه
استثنى منها في الاتقان آية (أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها
من أطرافها) ومن ذلك نعلم أن الكل مجمعون على أن ما عدا
آية (أفلا يرون أنا نأتي الارض) من سورة الانبياء مكية ،
٢ — تقص مطاعن

ومن ذلك آية (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فهم مجمعون
على انها مكية ، ولم يخالف أحد من أهل العلم في ذلك



هذه سقطاة لا يثل من سقطها لليدين وللفم ، أكان يظن
ظان أن هذا المعترض الجريء يقدم بيده الحجة لخصمه عليه ،
ويفند قوله بقوله ، ويكون عوننا لنا على نفسه ، مثل هذا
الناقد فيما كبا به ، مثل من يقول : ان انكترا لم ترزق في عصورها
المختلفة شاعراً مجيداً ، وأما فرنسا فقد رزقت من الشعراء النوابغ
عدداً ليس بالقليل ، هذا شكسبير شاعر فرنسا العظيم ، تمجز
انكترا أن تجيء بمثله

صه . لا يسمعك الناس ، ان شكسبير شاعر انكليزي
لا فرنسي ، وما دمت قد أعطيت اليد بأنه شاعر عظيم ،
وما دام الواقع يثبت أنه انكليزي ، فقد نقضت دعواك أن
انكترا لم ترزق بشاعر نابغ .
لقد قرأت القرآن ، واستقرأت مكيه ومدنيه ، فرأيت

أقوى البراهين وأروعها ، وأظهرها وأنصمها ، وأقمها للجاحد
وأملكها لقوى المعاند ، هي تلك البراهين الماثوثة في القسم المكي
من القرآن ، وأن القسم المكي لم يكن يهرب من المساجلة ، وإنما
كان يقتحمها ، وما كان يولي الأدبار ، بل كان يقدم على الخصوم
أقدام الواصل بقوته ، المؤمن بحجته ، المطمئن الى عزة
الحق ، وفوز اليقين

لم يدع القسم المكي مطالبا من مطالب أصول الايمان
إلا أقام الدليل عليه ، ولم يدع شبهة من شبه الكافرين إلا
دفع في صدرها بالحجة .

لا أدري كيف تسنى للطاعن أن يزعم خلو القسم المكي
من المنطق ، وهو وبه من المناقشة !!! ألا يعلم أنه ينكر كما يقول
رجال القانون الوقائع المادية ، وأنه ليس أسهل على خصمه
من أن يريه ويرى الناس تلك الحجج والمناقشات التي في
القسم المكي ، وأن يبين له ما فيها من منطق وبرهان ، فتكون
الفضيحة ، وتكون الهزيمة ، وهذا ما سنفعله .

أ كبر اللظن أن الطاعن لم يفهم أدلة القسم المكي ولا
براهينه، وأعجزه أن يستبطن حجتها، فتورط فيما تورط فيه ،
ولا أظن أنه يعلمها ويفالط فيها ، لاني لا أخال خصما يحترم
نفسه، يلجأ في المغالطات الى انكار الوقائع المادية، بل هو يلجأ
الى ما هو أصعب هدمًا ، وأشد التواء على خصمه

وسأسوق اليكم نماذج من مساجلات القسم المكي، وما
فيها من منطق لتكون عنوانا على ما وراءها، فتعلموا كم أساء
صاحب هذا الطعن، الى العلم والى التاريخ

النموذج الاول المحجج على البعث

وفيه شواهد

قد كان العرب ينكرون البعث لشبه قامت عندهم (١)
حكى الله مذهبهم وشبههم، وكر عليها بالحجج المبطله لها
والمثبتة للبعث .

الشاهد الأول

قال في سورة ق المكية (ق ، والقرآن المجيد * بل عجبوا
أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب *
أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد * قد علمنا ما تنقص الارض
منهم وعندنا كتاب حفيظ * بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم
في أمر مريج * أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها وما لها من فروج * والارض مددناها وألقينا فيها رواسي

(١) انما أنكر البعث من أنكره منهم ومن غيرهم لاستبعاد
وقوعه، والعجب من حكايته كما يعلم من الشواهد الآتية.

وأنبئنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكري لكل عبد
منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب
الخصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد وأحيينا به
يلدة ميثا كذلك الخروج * كذبت قبا لهم قوم نوح وأصحاب
الرس وحمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة
وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد * أفعيينا بالخلق الأول ؟
بل هم في لبس من خلق جديد)

هم يستبعدون البعث والاعادة فيقول لهم لقد خلقنا ما هو
أعظم . أفلم تنظروا الى السماء فوقكم كيف بنيناها ؟ والى الارض
تحتكم كيف مددناها ؟ ثم قال انظروا الى الماء كيف تجريه الى
أرض قاحلة لا زرع فيها ولا حياة فنجيها به ، فتخرج جنات
وحب الخصيد ، كذلك الخروج ، خروجكم من أجدانكم ، ثم قال
(أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) أفعجزنا
عن خلقكم أولا حتى تنكروا خلقكم ثانيا ، من قدر على البدء
فهو قادر على الاعادة - بل هي عليه أهون

أفهرب هذا من المناقشة . أم تقحم فيها ؟ أخلو هذا
من المنطق ، أم أنتم لا تبصرون ؟

الشاهد الثاني

في سورة سبأ المكية (وقال الذين كفروا هل
ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق
جديد؟ * أفترى على الله كذبا أم به حينة؟ بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد * أفلم يروا إلى ما بين
أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم
الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية
لكل عبد متب)

فهم يعيدون الشبهة ويعيد عليهم الحجة بالاساليب المختلفة
ولقد أبرز هذه الحاجة في صورة تبين خذلانهم وإخامهم
ولجاجهم وهروبهم من الحجة حين أقامها عليهم إلى شيء لم
يكن موضع جدال ولا وقعت فيه خصومة

الشاهد الثالث

قال في سورة الاسراء المكية . (قل كونوا حجارة
أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا ؟
قل الذي فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون
متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا)

يقول : قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما ترونه
عظيما لا يلبين للطالبيين ، ويمجز القادرين ، فسيقولون من يعيدنا ؟
قل الذي فطركم أول مرة ، فالذي خلقكم أولا يعيدكم ثانيا ،
فسيحركون اليك رؤوسهم عجزا واستخذاء ، ويهربون من
الحجة اذا بهرت ، ومن البينة اذا سطعت ، ويقولون متى هو ؟
أنجدون أم تهزلون ؟ هل كان النزاع في متى هو أم كان النزاع
في إحالته ؟ ولكن الله لم يشأ اعناتهم فقال انبيه (قل عسى أن
يكون قريبا)

الشاهد الرابع

قال في سورة القيامة المكية . (أئحسب الانسان أن

يُتْرَك سُدَى * أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمْنَى * نَمْ كَانَ عِلْقَةً مُخْلَقٍ
فَسَوْى * جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ
عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى ؟ بَلَى هُوَ قَادِرٌ

الشاهد الخامس

في سورة يس المكية . (أو لم ير الانسان أنا خلقناه
من نطفة فأذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول
مرة وهو بكل خالق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر
نارا فأذا أتم منه توقدون * أو ليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على أن يخلق مثاهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ، إنما
أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء ، واليه ترجعون) ما أبلغ قوله ونسي خلقه
أي لو ذكر خلقه لما أنكر الاعادة ، وهذا كما تقول لمن أحسنت
إليه وجهد الاحسان : أتجدني إحسانا إليك ، وتنسى الثياب
التي عليك ؟

ولما كان تعذر الاعادة انما يكون لقصور علمه « أو
قصور قدرته، بين أنه لا جهل عند من هو بكل شيء عليم،
ولا عجز عند من خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن .

النموذج الثاني

(البراهين على وجود إله للعالم وخالق للكون في القسم
الملكى وفيه شواهد)

الشاهد الأول

قوله تعالى في سورة النبا المكية (ألم نجعل الارض
مهاداً . والجبال أوتاداً . وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً .
وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . وبنينا فوقكم سبعا
شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . وأنزلنا من المعصرات ماء
تجاجاً . لنخرج به حبا ونباتاً . وجنات ألفافاً)

الشاهد الثاني

في سورة عبس المكية (فلينظر الانسان إلى طعامه أنا

صبينا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأبتنا فيها حبا . وعنبا
وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا
لكم ولا نعمكم)

الشاهد الثالث

في سورة الفرقان المكية (تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا)

وما تلونا عليك يشير إلى دليل برهاني، ليس أسطع ولا
أقوى منه، وهو مع ذلك على غاية من الوضوح والسهولة، يكاد
يكون في طبيعة الخلق جميعا . فهو يشير إلى أن هذا الكون
خلق ككائن واحد، وأن بعضه مكمل لبعض والغاية والعناية
تظهران في كل ما فيه، فقد مهدت الارض لتصالح لسكنى الانسان
والحيوان والنبات وجعلت الجبال لتمسكها أن تزول، وخلق
الذكر والانثى من الانسان والحيوان والنبات ليتوالدوا

ويعمر بهم الكون . وجعل الليل سكنا لهم . والنهار ليزاولوا فيه
معايشهم ، وجعلت السماء بحيث لا تنطبق على الارض ، وجعلت
فيها الشمس سراجا مضيئا ، بل أين منها كل السرج والثريات
السكرابائية في جميع أنحاء المعمور ؟ إنها لا تغني عنها ، ولا
تضيء ضوءها ، ولولاها لكان الناس في ظلام دامس ، تشغل
عليهم الحياة . ولا يقدرّون على تحصيل عيشهم ومتعهم . وكما
أنها منبع للنور هي منبع للحرارة التي بها الحياة . ولولا الحرارة
التي تنمي الكائنات ، لما وجدت حياة حيوان ولا نبات . وأنزل
ماء كثير كان به حياة الناس في سقيهم وإخراج الزروع التي
بها حياتهم وحياة مواشيهم . وكل هذا يدل على أن له خالقا
خلقه ورتبه هذا الترتيب المحكم ، ونظمه هذا النظام البديع ،
وأراد منه هذه الفوائد ، إذ قد جيات العقول وأودعت الفطر
أن كل فعل منظم ، فيه غاية معينة ، فهو عن فاعل ، لم توجد
المصادفة ، ولم يوجد وحده

ومثل الدهري الذي ينكر الآله كمثل رجل يرى ساعة
دقيقة ذات عقارب وتروس وعدد ومسامير، قد فصلت وركبت
أجزاءها ليدير هذا ذاك وذاك هذا إلى الأخير فيدير العقر بين
فتسيران على سطح مقسم إلى (اثني عشر قسما وكل قسم
إلى خمسة أقسام) لتدلا على الساعات والدقائق ثم يزعم أن هذا
الصنع المحكم، والنظام المتقن، الذي شملته العناية، وعمته الغاية.
وأريد منه شيء مخصوص بحيث لو فقد جزءاً من أجزائه، أو
لو ركب أي جزء منه غير هذا التركيب، أو وضع غير هذا
الوضع، لما تحركت الساعة هذه الحركة المنتظمة، ولما دلت
على أجزاء الزمن ومعرفة الاوقات. . . نقول: يزعم أن هذا
الصنع المحكم أو جدته المصادفة، وليس له فاعل مختار. هوس
تنبو عنه الفطر، وتمجه العقول

وإن أي جزء من الكون أشد تعقيدا وأكثر آلات
من الساعة. هذا الانسان مثلا كم فيه من آلات دقيقة
وأجهزة. وكم فيه من أعضاء خفية لها وظائف لولاها لم تقم

حياته به ، جهاز للتنفس ، وجهاز للهضم ، وجهاز للدورة الدموية. وآلات للشم وأخرى للبصر. وثانية للسمع وثالثة للحس ورابعة للحركة . وان كل ما فيه ليؤدي وظيفته ثم أنه ركب على نحو من التركيب المحكم الصنع ، المنظم الوضع ، ليتمكن من أداء تلك الوظيفة تمكننا سهلا مريحاً (فاليدان مثلاً جعلتا بحيث يعمل بهما المرء من غير عناء ومشقة) ولذلك كانتا ذواتي مفاصل عدة ، صالحة للانقباض والانبساط ، ولو جعلت اليد كالخشبة لما أمكن أن تؤدي مهمتها . وإذا كانت الساعة لما فيها من تركيب ودقة يحيل العقل أن تكون صدرت إلا عن فاعل ، فبالحرى يحيل العقل أن يكون الانسان صادراً إلا عن فاعل .

وكذلك قل في كل ما في الكون من أجزاء ففيها تناسب في نفسها ، وهي مناسبة بعضها لبعض . وهذا هو الدليل الذي أشارت إليه الآيات المكية التي تلونها عليك ، وهو مع سهولته

التي يفهمه لأجلها الجمهور برهاني ، يقبله أولوا العلم ويقنعهم ،
ولكنهم يفضلون العامة في فهمه ، لا من جهة أنهم يطالعون على
حكم كثيرة في الكون أكثر مما يعلمه الجماهير فقط ، بل من
جهة الكيفية أيضا ، فعالم التشريح مثلا يعلم من خواص
الأعضاء أكثر مما يعلم الجمهور ، ويعلم كقيمتها ودقتها ، ولذلك
كلما ازداد المرء علما بالكون ازداد علما وبقينا بوجود الخالق
وقدرته وعلمه وعظمته إذا انساق مع فطرته ولاحظنا نبينا إليه

نقل الفيلسوف سبنسر عن الاستاذ هكسلي ما يأتي :

« ليس العلم الطبيعي منافيا للدين بل المنافي للدين هو
ترك ذلك العلم ، والامتناع من دراسة المخلوقات المحيطة بنا ،
— وإليك مثلا حقيرا —

إذا كان أحد الكتاب لا تزال الناس تمدحه وتثني عليه
بأبلغ عبارات الشكر والتعظيم ، وإذا كانت مواضع هذا الحمد
والثناء هي حكمة مؤلفات ذلك الكاتب وجلالها وجمالها ، وإذا

كان مادحو تلك المؤلفات يكتبون بالنظر إلى ظواهرها ، فهم
لم يفتحوها قط ليفهموا ماتحتويه ، فأى قيمة تكون إذا لذاك
الثناء والمدح ، هذه اذا قست الامور حال البشر عموما إزاء
هذا الكون وصانعه ، فالتوجه للعلم الطبيعي عبادة صامتة هي
اعتراف صامت بنفاسة الاشياء التي تعين وتدرس ، ثم بقدره
خالقها ، فليس التوجه للعلم تسبيحا شفها ، بل هو تسبيح عملي
ليس هو باحترام مدعى ، بل احترام أثبتته تضحية الوقت
والتفكير والعمل »

الشاهد الرابع

في سورة العنابية المكية (أفلا ينظرون الى
الابل كيف خلقت * والى السماء كيف رفعت * والى الجبال
كيف نصبت * والى الارض كيف سطحت * فذكر إنما أنت
مذكر * است عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه
الله العذاب الاكبر * إن الينا إياهم * ثم إن علينا حسابهم)

هذا حض على النظر في الطبيعة ومعرفة أسرارها، ليتوصل
من ذلك إلى معرفة المبدع الاول، فقد أتمد الطريقتان طريق
الفلاسفة الطبيعيين، وطريق القرآن الكريم

النموذج الثالث

﴿ ما أقام من الأدلة على وحدانية الله وفيه شواهد ﴾

الشاهد الأول

في سورة الانبياء المكية (لو كان فيهما آلهة إلا الله

لفسدتا)

الشاهد الثاني

في سورة المؤمنون المكية (قل لمن الارض ومن فيها

إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل

من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل

أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا

٣ — تقض مطاعن

يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأني تسحرون *
بل أتيناكم بالحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على
بعض سبحانه الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى
عما يشركون)

النموذج الرابع

﴿مناظرته إياهم عند ما كانوا يحاورونه في نفي رسالته وفيه شواهد﴾
الشاهد الاول

في مفتتح سورة الانبياء المكية (اقرب للناس
حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيتهم من ذكر من ربهم
محدث إلا استمعوه وهم يعبون * لاهية قلوبهم وأسروا
النجوى الذين ظلموا: هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر
وأنتم تبصرون؟) (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

استبعدوا أن يكون محمد رسولا نبيا لانه بشر مثلهم
فقال الله ردا عليهم (وما أرسلنا قبلك إلا رجلا نوحى اليهم)
نوحا ، و ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، والانبياء السابقين ،
وأنبياء بني اسرائيل (فاسألوا أهل الذكر) من اليهود والنصارى
(ان كنتم لاتعلمون)

الشاهد الثانى

في سورة الفرقان المكية (وقالوا ما لهذا الرسول
ياأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا . أو يلقى اليه كنز . أو تكون له جنة يأكل منها)
وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . أنظر كيف
ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذى
انشاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا - الى ان قال - وما أرسلنا قبلك من المرسلين
الا انهم لياأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضهم
لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا)

الشاهد الثالث

في سورة الاحقاف المكية . (أم يقولون افتراه قل
ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون
فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم . قل ما كنت
أبدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع إلا
ما يوحى الى وما أنا إلا نذير مبين)

النموذج الخامس

﴿ مناظرته إياهم حينما زعموا أنه يعلمه بشر ﴾

في سورة النحل المكية — ولقد نعلم أنهم يقولون إنما
يعلمه بشر ، لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان
عربي مبين)

النموذج السادس

﴿ مناظرته إياهم حينما كانوا يرون أن العاقبة لهم وهو يرى
أن العاقبة للمؤمنين وفيه شواهد ﴾

الشاهد الأول

في سورة القمر المكية قال عقيب اخباره عن عقوبات
الامم المكذبة لرسالهم كقوم فرعون وعاد وتمود . (أكفارك
خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر * أم يقولون نحن جميع
منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر)

يقول أهلكت هذه الامم لانهم كذبوا الرسل ، وأعرضوا
عن هدايتهم ، وأصروا على شرهم وخرافاتهم ، وأنتم مثلهم
فسيصيبكم ما أصابهم ، وإذ كنتم شركاءهم في علة الهلاك فانتم
شركاؤهم في وخامة العاقبة ، وسوء المنقلب

الشاهد الثاني

في سورة الاحقاف المكية في شأن قوم عاد (فلما

رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم * تدمر كل شيء بأمر ربها
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين *
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلناهم سماعا وأبصارا وأفئدة
فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون

* *
* *

يقول ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ، فحككمكم كحكهم
وإذا كنا قد أهلكناهم بمعصية رسولنا فلم يدفع عنهم ما مكنا
فيه من أسباب العيش والقوة، فأنتم كذلك تسوية بين المتماثلين
الذين اشتركا في علة الحكم

الشاهد الثالث

في سورة الانعام المكية . (ألم يروا كم أهلكنا من

قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم (١) وأرسلنا
السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم
بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين * ولقد استهزىء
برسل من قبلك خفاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون.
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)
أمر بالسير في الارض ليعتبروا وليعلموا ما حاق بالمكذبين
المستهزئين الفاسقين عن السنن الالهية - وللـكافرين أمثالها

(١) جاء في نكتة البلاغة ودقة اللغة في الآية من تفسير المنار
ان فيها احتبا كما تقديره (مكناهم في الارض ما لم نمكنكم ، ومكنا
لهم ما لم نمكن لكم) ومعنى الاول أنهم كانوا أشد منكم قوة وتمكنا
في أرضهم ، فلم يوجد حولهم من يضارعهم في قوتهم ، ويقدر على
سلب استقلالهم ، ومعنى الثاني أننا أعطيناكم من أسباب التمكين في
الارض وضروب التصرف وأنواع النعم ما لم نعظكم . فحذف من كل
من المتقابلين ما أثبت نظيره في الآخر ، وهذا من أعلى فنون الایجاز
لذي وصل في القرآن الى أوج الاعجاز ، ويصدق كل من التمكينين
على قوم عاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم كما يعلم من قصص الرسل
في القرآن ومن التاريخ العام

أيها السائل عما مضى من علم هذا الزمن الذاهب
ان كنت تبغي العلم أو نحوه في شاهد يخبر عن غائب
فاعتبر الشيء بأشباهه واعتبر الصاحب بالصاحب

تأنت في الامر إذارمته تبين الرشدمن الغي
لا تتبين كل نار ترى فالنار قد توقد للكي
وقس على الشيء بأشكاله يدلك الشيء على الشيء

الشاهد الرابع

في سورة المزمل المكية . (انا أرسلنا اليكم رسولا
شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون
الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً * فكيف تتقون ان كفرتم يوماً
يجعل ولدان شيباء . السماء منفطر به كان وعده مفعولاً)

يقول : انا أرسلنا محمدا اليكم كما أرسلنا الى فرعون موسى
فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً . فهكذا من
عصى منكم محمداً

لقد كان في بعض ما أوردناه من الآيات كفاية فيما قصدناه
من اثبات مساجلة القسم المكي من القرآن الخصوم ، وعدم
هروبه من المناقشة ، وإثبات أن فيه منطقا وعقلا . ولكننا أردنا
أن نطيل النفس في هذا الموضوع لتكون الحججة ألزم ، والبينة
أسطع ، ولأنها دراسة نافعة لقسم عظيم من القرآن ، يتبين فيها
المراء كيف كان جدالهم مع خصومهم ، ويستعرض فيها شبه الخصوم
ورده عليهم ، وأظن أن هذه دراسة نافعة وغير مملة ، ان لم نقل
إنها شيقة وممتعة ، فمن شاء فليقتصر على ما قدمناه ، ومن أراد
المزيد من هذا الدرس فليقرأ القسم المكي منه فقيه من هذا
الشيء الكثير ، وقد فتحنا لكم بابه

لقد علمنا من كل ما تقدم أن القسم المكي من القرآن يكاد
يكون كله حججا وجدلا مع الكافرين ، وفيه كان يتكلم ان لم
يجاور ، ويرد الشبهة ، ويفاج بالحجة . وان الذي يزعم أنه كان
يهرب من المناقشة وأنه خال من المنطق لم يدرس هذا القسم
منه بفعله ، أو هو قد درسه وعلم ما فيه ووثق من أن سامعيه

لم يدرسوه ، فأراد أن يلبس عليهم ويזור ، ورأي المجال واسعا
لللبس والتزوير

وأما سورة الكافرون التي استدل بها على هروبه من
المنافشة ، فليس يأخذ أحد منها الهروب من المناقشة ، فقد ذكر
التورخون في سبب نزولها ان كفار قريش طلبوا من محمد أن
يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدواهم آله سنة ، فنزل (قل يا أيها الكافرون
لا أعبد ما تعبدون) ايئاسا لهم وسدا لطمعهم أن يلين محمد أو
يعترف بعبادة ما كانوا يشركون . على انه إذا لم يطلع المرء
على سبب هذا النزول لا يمكن أن يفهم منها الهروب من
المنافشة ، إذ هو يراه في جميع الآيات قد أقام عليهم الحجج
وأخذ بمخافتهم ، وسد عليهم كل باب (١) ثم جاءهم في هذه الآية
فقال (لكم دينكم ولي دين) كما يقول القائل لمن أقام هو عليه
الحجة : قد أقت الدليل ، ووضحت السبيل ، ولك بعد ما تختار ،

(١) أو كما قال الامام عبد القاهر في دلائل الاعجاز : قد أسأل
عليهم الوادي عجزاً ، وأخذ عليهم منافذ القول أخذاً

لك ما تريد ولي ما أريد، إذ لا لا بقوته، وتبكيه تخلصه، واشمارا
له بأنه إذا سلك ما سلك ، فمن ضعف في العلم والارادة
والاختيار، وعن جهل بالنافع والخير

أهذا هو النقد العلمي، والبحث المنطقي؟ اللهم ان القوم
قد تلاعبوا بالألفاظ، وبعثوا بها عن معانيها، وأطلقوها على
اضدادها. فهذا النقد يصح أن يسمى أي شيء إلا اسم العلم،
وأن يدخل في أي باب الا باب البحث - سمو الأشياء
بأسمائها، ودعوا الخداع والمرارة، وقولوا: إلحاد باسم العلم
نسميه، وضلال باسم البحث تزجيه، وما بنا خدمة البحث
والتفكير، ولكن بنا فتنة أبناء المسلمين عن دينهم لحاجة في
دخيلة النفس، نجمهم دونها ولا نظهرها، ونظهر غيرها ونسترها

تفسير الطعن الثاني

أصحیح أن القسم المكي من القرآن يمتاز بكل مميزات
الأوساط المنحطة كالعنف والشدة ، والقسوة والحدة ،
والغضب والسباب ، والوعيد والتهديد

لقد قال الناقد ذلك واستدل بسورة (تبت يدا أبي لهب)
(والعصر ان الانسان لفي خسر) (فصب عليهم ربك سوط
عذاب) (كلا لو تعلمون دلم اليقين لترون الجحيم) وزعم ان
القسم المدني وديع مسالم يقابل السوء بالحسني

ونحن نخالقه في هذا ونرى أن القرآن جميعه يمتاز بكل
أنواع سمو والرفعة، والوقار والجلال، فهو اذا اشتد فعلى
الفاسقين المفسدين يشتد ، واذا لان فللصالحين الأختياريلين ،
ولا تنس أن شدته هذه ولينه في الوعد والوعيد ، وكلاهما
لصلاح النوع الانساني ، وما يعاب كتاب كالقرآن بذلك

أما الآيات التي استدلت بها على أن في القرآن سبابا وما
إلى ذلك من مميزات الأوساط المنحطة، فسنناقشه فيما آية آية
(براءة سورة تبت يدا من هذه العيوب)

أما سورة (تبت يدا أبي لهب) فليس يعرف الناقد سبب
نزولها، ولذلك تورط فيما تورط فيه، ونحن نسوق سبب نزولها
ومعناها ليعلم الناس أنها ليست سبابا، وإنما هي وعيد وانذار
أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال صعد رسول
الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال «يا صبا حاه» فاجتمعت إليه قریش
فقالوا مالك؟ قال «أرايتكم ان أخبرتكم أن المدوم صبحكم أو
حسبيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا بلى، قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تبأ لك، ألهذا دعوتنا وجمعتنا؟
فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب) إلى آخرها

وأخرج أيضا عن ابن عباس في قوله (وامراته جمالة
الخطب) قال كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي ﷺ
ليعقره وأصحابه . ويقال جمالة الخطب نقاله الحديث ، فهو

ينذر أبا لهب بأنه خسرو وسيصلى ناراً، لأنه لم يؤمن بالله وصدق
عن سبيله، وستكون امرأته كذلك لعدم إيمانها، ولأنها تؤذي
النبي وأصحابه بوضعها الشوك في طريقه ليعقره، ولأنها تنقل
الحديث وتمشي بالنميمة بين الناس. أرايت الآن أنها ليست
سباباً، وإنما هي انذار ووعيد لابي لهب وامرأته لصددهما عن
الاسلام، وهذا الانذار لخير أبي لهب وامرأته، وخير العالم، إذ
من خير العالم ألا تقام العراقيل في سبيل مرشديه الى طريق
الخير، وهاديه الى سواء السبيل، ومجديه كلما بلي وتعفن،
وطفت فيه الرذيلة على الفضيلة

(براءة سورة والعصر)

وأما سورة (والعصر) إن الانسان لفي خسرو* إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)
فلا أدري ما في هذه من حدة وعنف وسباب !!! ان السورة
تشير الى قضية ثابتة من قضايا الكون التي تتغير الارض ومن
عليها ولا تتغير، وهي أن الناس قسمان: قسم قوي إيمانهم ورسوخ

يقيمهم وعملوا الصالحات، واستمسكوا بالحق وبالصبر، فاعتدلت قوتهم العلمية، واستقامت أعمالهم، وحسنت أخلاقهم. وكان رائد هم الحق، وأعمالهم مبنية على الصبر، وهم يتواصون فيما بينهم بالحق والصبر، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهؤلاء هم الذين كتب لهم الظفر بالسعادة والنجاح

وقسم على النقيض من سابقهم، قد ضعف إيمانهم، وزلزل يقينهم، وكانت أعمالهم ظالمة وجائرة، وأخلاقهم فاسدة. ولم تكن للحق سيطرة على قلوبهم، وكانوا ضعفاء الإرادة، لا يثبتون على شيء، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، فهؤلاء في خسار وفي تبار

هل اختبار الافراد والامم من بدء الخليقة الى الآن الايصدق هذه القاعدة الخلقية الابدية، والقسم المبكي قد ذكرها ليحض الناس على أتمن مافي الكون وهو اليقين وحب الحق، وعمل الصالح، والصبر على مافي الوجود من شدائد،

والتواصي بالخير ، ولينفر الناس من اضدادها ، ثم بالاقديز عم
هذا السمو في العلم . وهذا الحب للخير ، عنفا وشدة وسبابا .
ليسما ما شاء من أسماء ، فميتبقى دائما أم الفضائل ، وكنزاً
من كنوز الوجود ، ومنبعا عظيما للخير والفضيلة

أليس من الانتكاس في الخلق ، والتردي الى أسفل دركات
الهمجية ، والارتكاس في هاوية الانحطاط والضمرة أن يستبسخ
امرؤ (سورة والمصر) ويميها ، ويستجيد آيات المجون
والخلاعة ، كقول ابن نواس

اذكر الحمر بالآلها وسمها أحسن اسمائها

ان هذه السورة لا تثقل الا على نفور من الفضيلة ،
نزاع الى الرذيلة ، فيكره ما فيها من فضائل عملية وعملية ، ولست
أعلم احدا تثقل عليه الا اثنين : ابليس الرجيم ، وهذا الناقد
المالجن

انظروا هل تقدمت امة أو رقي فرد الا بهذه الفضائل ؟

وهل انحط فرد أو أمة الابشيوخ أضدادها من الرذائل فيها؟
 أليس فقدان الايمان أو ضعفه مما يضعف الامة؟ أليست الاعمال
 الفاسدة من الظلم، والرشوة، وأكل السحت وعدم احترام
 الحق وعدم التواصي به مما يضعفها أيضا؟ أليس خور العزيمة،
 وفقدان الصبر، مما يبيد الامم؟ أليست هذه الرذائل مجتمعة
 في أمة قاضية وشيكا بزوالها من الوجود؟

لو قدر أن يبيد هذا العالم وما فيه من علم وأدب وحكمة،
 ونشأ جيل جديد لم يرث شيئا من علم الاولين وأخلاقهم. ولكنه
 بقي له سورة (والمصر) لكان فيها سداد من عرز، وعوض عن
 الجميع، ولجاز أن تكون مادة اصلاح يحيا عليها ذلك الجيل
 الجديد، ويجد فيها أصول الفضائل العملية والعملية

قال الاستاذ الامام في تفسير هذه السورة «ثم تراها لم تدع
 شيئا إلا حرزته في عباراتها الموجزة، حتى قال الامام الشافعي
 رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، وقال: لو لم ينزل
 ٤ — نقض مطاعن

من القرآن سواها لكفت الناس ، ولجلالة ما جمعت روي أنه كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة والعصر ثم يسلم على الآخر ، ذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون عليه « اه (١)

وما قيل هناك يقال مثله في هذه السورة الكريمة
(أهلهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا
سوف تعلمون . كلا لو تعلمون عظيم اليقين . لترون الجحيم .

(١) وجملة القول في السورة أنها قررت قاعدة اجتماعية لنوع الانسان انه يكون في خسر من سيرته وعمله في زمنه الا الذين يجمعون بين الايمان الصحيح والعمل الصالح في حياتهم الشخصية ، وبين التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي يعينهم على النهوض به في حياتهم الاجتماعية ، فليس في هذه الحكمة العالية سب ولا غلظة على احد ولا على قوم ، لانها بيان لحقيقة حال النوع ، وأما الاقسام عليها بالعصر ففيه تعريض بمتبعي الاوهام ، الذين يتشاءمون بالزمان ، وارشاد الى ان الوقت هو رأس المال ، واضاعته هي الخسران

ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسئلنَّ يومئذ عن النعيم)
فهذه السورة تسمو بالناس عن رذائل حطام الدنيا ، وترفع
بهم إلى الروحانيات والفضائل الباقية ، فتقول لهم : أهلكم عن الخير
التكاثر من الاموال ، وعرض الدنيا الفاني ، ثم تحذرهم عاقبة ذلك
وفي الحق ما أفسد الناس إلتكالبهم على الدنيا قال عليه السلام
« الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلككم » (١) وقال
« ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب
المرء للمال والشرف » (٢) فإذا جاءت هذه السورة تنهي الناس
عن التكاثر ، وتحذرهم عاقبته الذميمة ، وصفت بأن فيها ما في
الايواسط المنحطة من شدة وسباب

-
- (١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ولم أره في غيره
(٢) أخرجه ابن عبد البر بهذا اللفظ وأحمد والترمذي من حديث
كعب بن مالك بلفظ « أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على
المال والشرف لدينه » ناط الافساد بالحرص على المال والجاه لانه
هو الذي يغري بمتنكب الرشد واتباع الغي في طلبها والتصرف فيهما ،
وأما الحب فهو من غرائز الطباع .

وأما قوله (فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك
لبالمرصاد) فذلك في القوم الذين طغوا في البلاد فأكثر وافيهما
الفساد، فهو يخبرنا بذلك لنحذر أن نطغى مثل طغيانهم، ونفسد
مثل فسادهم

﴿ ميل القسم المكي الى اللين والنعو ﴾

وبالجملة دعواه أن القسم المكي يتفرد بالحدة والشدة الخ
تكذيبها دراسة القرآن نفسه، وما عرف عن القسم المكي من
ميله إلى اللين والنعو، اقرأ قوله تعالى في سورة الشورى المكية
(وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله
خير وأبقي للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون
كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يفترون * والذين
استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يجب

الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل *
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الارض بغير
الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وقهر إن ذلك لمن
عزم الامور)

وقال في سورة فصلت المكية (ومن أحسنُ قولاً ممن
دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين * ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه وليُّ حميم . وما يُلقاها إلا الذين صبروا وما
يُلقاها إلا ذو حظ عظيم) (١)

وقال في سورة الحجر المكية

(ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم * لا تأذن
عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض

﴿١﴾ أرشد الى هداية العقل وتحكيمه في التفرقة بين الحسنة
والسيئة وفي عواقب الاعمال وغاياتها في المعاملة ، وكون الحسنى تحول
العداوة ، الى الحب والولاية

جناحك المؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على
المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين * فوربك لنسألنهم
أجمعين * عما كانوا يعملون * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن
المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلهًا
آخر فسوف يعلمون * ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما
يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين)

﴿ اشتغال كل من المكي والمدني على الوعد والوعيد ﴾

ولعله يريد من الشدة والعنف التهديد والوعيد، ومن
الذين الوعد، فإن أراد ذلك قلنا إن المكي فيه وعد وإطماع، كما
المدني فيه تهديد ووعيد، ومن عادة القرآن أن يجمع بين الوعد
والوعيد لئلا يقطع الناس الأمل، أو يتكلموا فيتركو العمل،
اقرأ قوله تعالى في سورة الحجر المكية (نبي عبادي أي أنا
الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم) وقوله في

سورة الزمر المكية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو
الغفور الرحيم) ثم اقرأ في سورة البقرة المدنية . (فان لم
تعملوا ولن تعملوا فاتقوا النار التي وتودها الناس والحجارة
أعدت للكافرين) و اقرأ في سورة النساء المدنية (ان الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا)

هاء ندا إلى الآن في هذين القسمين قد وفيت بما وعدت
فلم أخاصم الناقد الى الدين ، بل خاصمته الى العقل ، ولم أحتج
عليه بأن هذا الكتاب مقدس ، بل احتججت عليه بأن نقده
لا يطابق الواقع ، وأقت له من الشواهد والامثال ما به يؤوب
المنصف الى حظيرة الحق ، ويخزي المكابر ، ويظل وجهه
مسودا وهو كظيم .

وقد وفينا أيضا بما وعدنا من أننا نعرض للفكرة
 لأصحابها ، فناقشنا الفكرة ، دون أن نعرض للناقد ، وحمنا
 النفس على مكر وهما إذ رأينا كلاما أشبه بهديان المحموم ، فجادلناه
 كأنه عن عاقل صدر ، وسعنا ما ينشئ النفس فتصبرنا ، وما يهيج
 الأعصاب فاحتملنا ، فهل يحلني القراء بعد ذلك لا قول في الناقد
 كلمة ؟ لا أظن إلا أنهم يجلونني ، فقد ضجروا كما ضجرت ،
 وأثقلوا كما أثقلت .

كلمة في هذا الطاعن على القراءه

لقد قرأت ما كتبه دعاة النصرانية والملاحدة، وما كتبه
هذا الناقد في نقده، فرأيت ما كتبه هذا الناقد أشد تهافتا،
وأضعف حجة، وأقل خضوعا لقوانين العقل والمنطق، وذلك
وان كان يعمها جميعا ولكن بعض الشر أهون من بعض - وهذا
لان الاولين أعمق علماء، ولأنهم يستحيون بعض الحياء من مثل
هذا التورط الشائن، وأما هذا الناقد فهو لا يبالي بيومه، لانه
يرى أن أمته أجهل من أن تنقد رأيا علميا، وأن سامعيه همج
رعاع أتباع كل ناعق، ولا يبالي بغيره، ولا بحكم الاجيال بعده،
لانه انما يعيش ليومه، فاذا نفق فيه عند بعض مستمعيه فلا
يبالي بمد أن تسقطه الاجيال، أو تخطفه الطير، أو تهوي به
الريح في مكان سحيق

يا قوم اعذرونا اذا رأيتمونا نمحر هذا الناقد وأمثاله.

فنحن نعلم من خفاياهم ومن جهلهم ما قد أظهرناكم على بعض
منه، فهم جهلاء، وقد ألسناكم جهلهم، وهذا نموذج لما وراءه،
وليسوا جهلاء خصب، لأنهم يخدعون العامة ويدعون أكثر
مما عندهم، فهم جهلاء وأدعياء، وليسوا كذلك خصب، لأنهم
يفسدون على الأمة أعز شيء لديها: دينها، وأخلاقها، وهي
بدونها كومة من أنقاض، لا رابطة تربطها، ولا جامعة تجمعها،
فهم جهلاء، وأدعياء، ومفسدون، وليسوا كذلك خصب
لأنهم عن علم يفسدون، فهم جهلاء وأدعياء ومفسدون، وسيثو
النية فيما يفسدون. ومعدور من يقف بين القبور فيرى الرمم
البالية، والدود والصيد، ويظهر منه التمزق والاشتمزاز

تفسير الطعم الثالث

يقول هذا الطعان :

ان القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني ،
وقصر الآيات ، واخلو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر
فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم . أما القسم المدني فأفكاره
منسجمة متسلسلة، ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية،
وفيه هدوء ومنطق وتشريع ووقصص وتاريخ، وفيه التشريعات
الاسلامية، كالوارث والوصايا والزواج والطلاق واليروع
والمعاملات . هكذا يقول الناقد

﴿ تنزيه القسم المكي عن تقطع الفكرة ، واقتضاب المعاني ﴾
إن الذي يقرأ القرآن ولا يتدبره ، ولا يكاف نفسه
الصبر لمعرفة أغراضه ، هو الذي لا يستبين كثيراً منها ،
فيبدو له متقطع الفكرة، متعصب المعاني، ولا يكتن الذي يتدبره
وينعم النظر فيه، ويقرؤه على سبيل الاعتبار، ويكون مع ذلك

قد أوتي طبعاً سليماً ، ودرية على معرفة منطق العرب الذين
يكتفون باللمحة والوحي السريع ، يدرك كثيراً من أغراضه ،
ويبدو له قصده ، فيرى الآيات الكثيرة في غرض واحد
كالخاتمة المفرغة مرتبطة بعضها ببعض أتم ارتباطاً ، حتى إن
السورة الواحدة المكية الطويلة قد تكون في غرض واحد
يشملها ويعمها ، وسأضرب لذلك مثلاً

هذه سورة الانعام المكية ، مقدارها ١٦٥ آية ، قد انتظمها
غرض واحد وهو ابطال الشرك (١) فتمروها جميعاً فتجدها
في هذا الغرض ، وما سبق فيها فهو لهذه الغاية ، ولولا ضيق
المقام لاستوعبتها جميعاً ، ويثبت كيف توجه الى هذا الغرض ،
ولكننا نشير هنا اشارة موجزة

بدأ الله تعالى هذه السورة بحمد نفسه أو استحماقه الحمد ،

١ أي أن موضوعها الأهم المقصود بالذات ابطال الشرك بدحض
أوهامه وخرافته واثبات التوحيد ، ويليهِ إثبات الرسالة ودحض
شبهاتهم عليها ، مع إمام باثبات البعث أيضاً ، جملة السورة في أصول
العقائد الثلاث ، والوصايا التي في آخرها هي الحجية الأدبية على حقيقتها

وأنه خلق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور، وأنه بعد أن أنتم بهذه النعم يمدل به الذين كفروا الاوثان والانداد. وكل ما ذكر بعد يتجه نحو هذه الغاية - ابطال الشرك - فتجده يقول بعد ١٢ آية (وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم) * قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يَطْعِمُ ولا يُطْعَمُ؟ قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونون من المشركين) ويقول بعد (أنتم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى؟ قل لا أشهد، قل انما هو إله واحد وانني بريء مما تشركون) ويقول بعد ٣٩ آية (قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) ويقول بعد ٦٢ آية (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية : لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أتم تشركون) ويقول بعد ٧٠ آية (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هداانا الله؟ كالذي استهوته

الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعوه الى الهدى :
اثنتا. قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين)
وما ذكر قصة ابراهيم مع أبيه آزر الا لان فيها أدلة على
ابطال الشرك (واذ قال ابراهيم لآبيه آزر أتتخذأصناما آلهة؟
إني أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين * فلما جنَّ
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب
الآفلين * فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال
لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين * فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض خنيفا وما أنا من المشركين * وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون
به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلاتتذكرون؟ *
وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم
ينزل به عليكم سلطانا؟ فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم

تعلمون ؟ * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيـانهم بظلم أولئك لهم
الامن وهم مهتدون * وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه
نرفع درجاتٍ مَنْ نشاء ان ربك حكيم عليم)

ويقول بعد ٩٣ آية (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وصل
عنكم ما كنتم تزعمون)

ويقول بعد ٩٩ آية (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
وخر قوله بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون)
وحرّم في هذه السورة ما لم يذكر اسم الله عليه لانه مما
كان يذكر عليه اسماء آلهتهم فهو شرك ، وذكر من عاداتهم
في الحرث والانعام أنهم كانوا يجعلون بعضها لآلهتهم وهو
شرك فأبطلها ، واستدل على بطلانها (وجعلوا لله مما ذرأ من
الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاننا.
فما كان لشركانهم فلا يصل الي الله ، وما كان لله فهو يصل الي

شركاؤهم ساء ما يحكمون* وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء
الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون)

ويقول بعد ١٤٧ (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله

ما أشركنا ولا آباؤنا.) (١)

(١) بين في هذه الآية بطلان احتجاجهم على شركهم وتحريم
ما حرموا من الحوث والانعام بمشيئة الله تعالى كما يحتاج الى الآن
بعض المبتدعة والمتصوفة . قالوا : لو شاء الله ألا نشرك لما أشركنا
نحن ولا آباؤنا ولو شاء ألا نحرم ما ذكر لما حرمنا . فنحن انما أشركنا
وحرمتنا بمشيئته . ومشيئته تستلزم رضاه . أو أنه هو الشارع لذلك .
وقد رد الله تعالى عليهم جهلهم هذا بحجة تاريخية وحجة عقلية : أما
الاولى فقوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) من أقوام الانبياء
رسلهم فيما بلغوهم عن الله تعالى من توحيد الالهية وهو أن يعبدوا
الله ولا يشركوا به شيئا ، وتوحيد الربوبية وهو أن الشارع للدين
هو رب العالمين فلا يحرم عليهم إلا ربهم ، فليس لاحد أن يقول عليه
أنه حرم شيئا بغير علم من وحيه كما قال في أصول المحرمات من سورة
الاعراف المكية (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا وأن
تقولوا على الله ما لا تعلمون) أي كذب الذين من قبلهم رسلهم =

ويقول بعد ١٥٠ آية (قل تعالوا أتْلُ ما حرم ربكم عليكم

= كما يكذبك هؤلاء يا محمد (حتى ذاقوا بأسنا) أي عذابنا ، فلو كان راضيا عن عملهم لما عذبهم

وأما الحججة العقلية فقولهُ لرسولهُ (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) إنباتا لزعمكم هذا فان القول في صفات الله وأفعاله وأصول دينه وتشريعه لا يصح إلا بعلم يقيني يثبتهُ وما عندكم شيء من علم بهذا (إن تبعون إلا الظن) أي ما تبعون فيه إلا الظن في فهم المشيئة واستزامها للرضا وأمر التشريع . وقد حكى عنهم ذلك في سورة الاعراف بقوله (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعملون) ثم أسقطهم من مرتبة الظن إلى مادونها فقال (وإن أتمم إلا تخرصون) التخرص الحزر والتخمين كتقدير الثمر في شجره وما يبلغه بعد الجفاف فهو لا يستند إلى دليل وأطلق على الكذب لانه لا يكاد يكون مطابقا للواقع . ثم قال لرسوله ملقنا له حجته البالغة بعد ابطال حججهم الداحضة (قل فله الحججة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) أي لو شاء أن يهديكم كلكم بمحض قدرته من غير أن يكون لكم ارادة ولا كسب ولا اختيار في ايمان ولا عمل لهداكم بخلقه اياكم مهتدين بالقطرة ويراجع تحقيق هذه المسألة في الجزء الثامن من تفسير المنار

• — نقض مطاعن

ألا تشركوأ به شيئاً) ويذكر في محتتم السورة (قل انني
هداني ربي الى صراط مستقيم * دينا قيا ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين *
قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس
الا عليها ولا ترز وازر وزر أخرى، ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

فأين تقطع الفكرة واقتضاب المعاني؟ أليست متمسالة
منتظمة آخذاً بعضها بعضاً بعض تتنظمها وحدة الغرض،
واتحاد الموضوع؟ ولكن ذلك يدق الاعلى ذي الفهم والحجبي
وكمن عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

لو أن أصحابنا هؤلاء يسألوننا ما خفي عليهم من علم، لما
بخنا عليهم به، ولبذلنا لهم من فضل الله علينا، ولحميناهم من أن
يكونوا ضحكة الضاحكين، وسخرية الساخرين

﴿ الحكمة في خلو القسم المكي من التشريعات الجزئية
وعنايته باثبات العقائد الاصلية . والتشريعات الكلية ﴾
وأما خلو القسم المكي من التشريع التفصيلي ووجوده
في المدني فهذا أمر طبيعي ، لان الاسلام لم يكن قد تقرر في
مكة ، وكان المشركون ينازعون في أصله ، وهو التوحيد والنبوة
والمعاد النخ فحق أن يكون الحجاج في ذلك ، وكذلك كان .
ولما كان بالمدينة وآمن به المدنيون ، وصاروا جماعة يقدرون
أن يقيموا أحكامهم كأمة منظمة ، أتى بالقوانين والشرائع
وهل كان يريد الناقد أن يفرض على كفار مكة أحكام
الموارث (١) والزواج ، والطلاق وهم ينازعون في أصل
العميقة وفي انه رسول ، ولا يدينون له ؟

(١) (ان قيل) اننا نوافقكم على ان الكفار لا يخاطبون بفروع
الشريعة وانما نقول لماذا لم تشرع هذه الاحكام للمؤمنين انفسهم
(قلنا) ان بعضها لم يكن موافقا لمصلحة المؤمنين كالموارث لان
اكثر اقاربهم كانوا مشركين واما الاصل العام فيها كلها فهو ان فائدة
التشريع رهينة بالقدرة على التنفيذ وانما يكونان بالسلطان والدولة

أفليس الواجب يقضي أن يثبت أصل الايمان أولا ثم
يثبت بعد ذلك فروعه وعبارة الناقد تفيد ان القسم المكّي
خلا خلاوا تماما من التشريع - وليس كذلك ، بل هو فيه
تشريع ولكنه اجمالي ولم تخل الامن التشريع التفصيلي
﴿ اثبات القصص والتاريخ في القسم المكّي ﴾

وأما القصص والتاريخ فليسا خاصين بالقسم المدني كما
يرى الناقد، بل هما يوجدان كثيرا جدا في القسم المكّي. هذه
سورة الاعراف، ويونس، وهود، والكهف، ومريم، وطه،
ويوسف، والشعراء، مكية، وهي مفعمة بالقصص والتاريخ،
بل اني لازعم أن ما يوجد من ذلك في المكّي أكثر منه في
المدني وهنا ينبغي أن أنبه القارئ ان الله ذكر ذلك للعتة
والاعتبار

أقسام القرآن

وقد عاب الناقد القسم المكي بأنه يقسم بالشمس، والقمر،
والنجوم، والفجر، والضحى، والمصر، والليل، والنهار،
والتين، والزيتون، وزعم أن هذا جدير بالبيئات الجاهلة
الساذجة التي تشبه بيثة مكة تأخرًا وانحطاطًا (١)

وليس الأمر كما زعم فإن الله أقسم بهذه الأشياء ليبين
لهم مكانتها وعظم نفعها، ونعمة الله عليهم فيها، فهي جليلة النفع
عظيمة الخطر، حتى استحقت أن يقسم الله بها، ولعل الناقد
قد توهم ذلك من القسم بالتين والزيتون، فالتبس الأمر عليه

(١) القسم ضرب من الضروب التأكيد في الكلام، وللتأكيد في
الكلام صيغ وعبارات ودرجات هي من أدق أساليب البلاغة. وقد
كانت بيثة مكة أرقى في البلاغة والفهم من بيثة المدينة وغيرها.
وأقسام القرآن مما امتاز به على سائر الكلام العربي بما فيها من التناسب
والملاءمة للمقسم عليه المقصود بالتأكيد سواء أكان يقدر فيها، يضاف
مخدوف هو لفظ (رب) كما يقول بعض المفسرين أم لا. حتى أنها
أفردت بالتأليف

ولبس على الناس، وأوهمهم ان هذا قسم بالمطعم والمأكل
وذلك شأن البيئات الجاهلة الساذجة

ونحن نرى ان هذا قسم بمنابت التين والزيتون وهي
بعض بقاع الشام ، فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ،
ومولد عيسى ومنشؤه، فالكلام على حذف مضاف، أي ومنبت
التين والزيتون ، وانما قلنا ذلك ليتناسب مع ما بعده وهو
طور سينين ، وهذا البلد الامين ، لان المراد بهما أيضا بقاع،
فالطور هو المكان الذي نودي منه موسى ، والبلد الامين
مكة وهي مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ، ومولد
نبينا ومبعثه .

وانما أقسم الله بهذه الاشياء ليبين من شرف هذه البقاع
المباركة ، التي انبثق منها نور النبوة والهدى على العالمين . وان
لهذه الاماكن في نفوس المؤمنين والمتدينين من يهود ونصارى
منزلة لا تشابهها منزلة ، وان ذكرها ليفعل في نفوسهم ما
يفعله ذكر الاوطان ، وملاعب الصبا ، ومعاهد الطفولة

تفصيل الطعم الرابع

﴿ هل تعلم القرآن من اليهود ؟ ﴾

ان الذي دعا الناقد إلى هذا التورط والاسفاف حبه
 لاثبات النتيجة الآتية : (ان محمدا تعلم من اليهود بالمدينة
 الحجة والمناقشة ، وان القرآن من وضع محمد) وكيف يثبت
 له ذلك اذا كان القرآن منطقيا بمكة كما هو بالمدينة ، واذا كان
 مقبولا للبرهان على الخصوم في البلدين ، واذا كان أمره في
 الادب ، والعلم ، والانسجام ، والقصد الى غايات سامية ،
 وشريفة ، سواء بمكة وبالمدينة ، فسلك تلك الطريق العوجاء
 الملتوية ، وزعم ان القرآن بمكة كان يهرب من المناقشة ، وكان
 خاليا من المنطق الخ ماقال . أما بالمدينة فقد كان على الضد من
 ذلك . وهذا من أثر تثقيف اليهود الذي تفقوا به المهاجرين أي
 ومنهم محمد ، ونسكنه لن يصل الى ذلك ما دامت يدنا تحمل
 القلم ، وما دام في الناس عقول ،

لقد بنى الدكتور هذه النتيجة على تلك المقدمات التي حاول
فيها اثبات أن القرآن قسمان قسم منه ضعيف وهو المكّي، وقسم
منه قوي وهو المدني، وأن ذلك لا بد من تأثير البيئة اليهودية
الراقية فيه، وقد أفسدنا هذه المقدمات، وأثبتنا أن القرآن
في القسم المكّي منه قوي قوته في المدني، وأنه يصدر في كل
ما يصدر عن علم واسع، وقدرة عظيمة، وهو في أوله وآخره
سواء سموا وعظمة وارتفاعاً، لم يكن يوماً ضعيفاً ولا خالياً من
المنطق، ولا هارباً من حجة، ولا فاراً من مناقشة، وقد
كان هذا كافياً في فرضنا لأنه هدم للأساس فيهدم ما شيده عليه
ولكننا أردنا أن نأتي بدراسة موجزة للقرآن مع اليهود
لنعلم أكان القرآن يحترمهم؟ ويراهم مثلاً أعلا في العلم والمنطق
والدين والأخلاق حتى يقتبس منهم ويقلدهم ويعجب بشقاقتهم؟
أم هو يراهم « وخاصة اليهود الذين كانوا يجاورونه » مثلاً
أدنى، من أسوأ الأمثال في العلم والخلق والدين، وينظر إليهم
كما ينظر المعلم إلى تلاميذه، الذين هم بحاجة إلى أن يتثقفوا منه؟

إننا ان درسنا القرآن وجدناه ينظر اليهم النظرة الثانية، فليس
يعجبه منهم خالق ، ولا تلم ، ولا دين ،

﴿ عيب القرآن اليهود بتحريف شريعتهم وكتان العلم ﴾

كان يرى أنهم انغمسوا في حمأة المادية، وتمردوا على
الروحية السامية ، وفقد الحق سلطانه على نفوسهم فبدلوه ،
ولم تكن وجهتهم الخير والاصلاح، وانما كانت وجهتهم متاع
الحياة الدنيا وزينتها، فباعوا في سبيل ذلك دينهم، والحق الذي
معهم (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزيكهم ، ولهم عذاب أليم)

(أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عتلوه وهم يعلمون)
(يأبى الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين
هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون

الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتهم هذا فخذوه وان لم
تؤتوه فاحذروا، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً،
أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، لهم في الدنيا خزي
ولهم في الآخرة عذاب عظيم * سماعون للكذب ، أكالون
للسحت ، فان جاءوك فاحكم بينهم، أو أعرض عنهم ، وان
تعرض عنهم ان يضروك شيئاً ، وان حكمت فاحكم بينهم
بالتسبط ، ان الله يحب المقسطين)

﴿عيب القرآن اليهود. بفقد الامانة. واستحلال الخيانة والكذب على الله﴾
كان يمينهم انهم فقدوا الامانة ، وزعموا أن الله أحل
لهم خيانة اليمين — كذبوا فليس الله يحل الفحشاء والمنكر ،
(ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً ذلك
بأنهم قالوا ليس علينا في اليمين سبيل ، ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون * بلى من أوفى بعهده واتي فان الله
يجب المتقين)

﴿ عيبه اياهم برذيلة الحسد ﴾

كان يعيبهم بخلق الحسد الذي هو أس الرذائل، وجماع
التبائح، والذي حملهم على أن يقولوا لعابدي الوثن أنتم
أهدى من الذين آمنوا سبيلا، والتوحيد دينهم (أم يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل ابراهيم
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) (ألم تر الى الذين أتوا
نصييا من الكتاب يؤمنون بالجبوت والطاغوت، ويقولون
للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك
الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)

﴿ عيبه اياهم بالاشراك ﴾

عابهم أنهم غيروا دينهم فبعد أن كان دين توحيداً شركوا
معه بعض المحدثات (وقالت اليهود عزير ابن الله) وبعد أن
كان ديننا يحث على الفضيلة، وينفر من الرذيلة، ويعلم أنه
لن تنفع الاحساب والانساب، وانما تنفع الاعمال، وانه من
أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه استحال في أيديهم ديننا يغري

بالاتكال على الانساب والاحساب ، واذا وصل الدين الى
هذه المنزلة فسد ، ولم يؤد مهمته السامية من الخض على
الفضائل ، والتخويف من الرذائل ، بل ربما شجع على الرذيلة
اتكالا على الحسب والنسب

(وقالوا لن تمسنا النار الا ايانا معدودة ، قل اتخذتم عند
الله عهدا فان يخاف الله عهده ، أم تقولون على الله مالا
تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون)

﴿ عيبه اياهم بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

(وخلال أخرى سيئة)

وعابهم بأنهم تركوا التناهي عن المنكر ، والتأمر بالمعروف
وعابهم بأنهم كانوا يأكلون السحت ، ويقولون الاثم
وعابهم بأنهم لم يعرفوا جلال الله وكماله ، ولم ينزهوه
عن النقص والعيوب (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت
أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء)

﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود
وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ﴿
(وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴾ ولا ينهائم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)
وعابهم بانهم قد اوتوا علما لم يعملوه ولم ينتفعوا به (مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، لبئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين)

موقف القرآنه من اليهود

﴿ موقف المعلم لا المتعلم ﴾

وهذا كله موقف من جاء ليعلم لا ليتعلم ، ومن جاء
يشقف لا ليتثقف ، ولذلك كان يرى أنه حاكم ومهيمن على
الكتب السالفة (وأزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين
يديه من الكتاب ومهيمناعليه) فليس القرآن من عمل محمد،
وليس لليهود فيه نصيب وإنما هو من المشكاة التي جاءت منها
التوراة والانجيل ، فلما طال عاينهما الامد ، ونسيت تعاليمهما ،
واستحالت الى غير ما كانت عليه ، جاء بالقرآن ليردهم الى
الفهم الاول ، ويجدد لهم ما كان قد درس من تعاليم صحيح ،
ويصل بهم الى الغاية التي هي كمال النوع الانساني .

تفنيد الطعن الخامس

الحروف غير المفهومة المفتوح بها بعض السور من القرآن والحكمة فيها
ادعى الناقد أخيراً ان الحروف المفتوح بها بعض السور
ربما قصد بها التعمية أو التهويل . أو اظهار القرآن في مظهر
عميق مخيف ، أو هي رموز وضعت لتمييز بين المصاحف المختلفة
ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً ، وهي دعوى
قد كما ناهو بإبطالها ، لانه يشك فيها ويردد بين أمرين متناقضين
ثبوت أحدهما ينفي الآخر . فكونها قصد بها التهويل واظهار
القرآن في مظهر عميق مخيف يقتضي انه نطق بها الرسول
وأنها كانت في عهده ، وكونها رموزاً وضعت لتمييز بين المصاحف
الختلفة ، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن يقتضي بانه لم ينطق بها
الرسول ولا كانت في زمنه ، ونقض القرآن لا يكون بهذا
الشك والاضطراب والترديد بين أمور متناقضة . ولو علم
الناقد ان الصحابة والتابعين كانوا يتشددون في تجريد المصحف

من كل ما ليس قرآنا حتى إنهم امتنعوا من العجم والشكل
وكتابة أسماء السور لاستحيا من أن يقول مثل هذا القول (١)

(١) الصواب انه علم ولم يستح ، ومن يستحي ؟ وهل يتكلم في
مثل هذا المشكل من غير ان تراجع بعض التفاسير ؟ كلا انه قد
اتبع في هذا بعض المستشرقين كعادته ، لانهم أرقى في نظره المظلم من
علماء المسلمين ، بل ممن هو اعظم من الجميع . ولكنه كان سيء
الاتباع ، فان جرجيس سايل المستشرق الانكليزي عرض لهذه المسألة
في مقاله عن الاسلام وذكّر بعض أقوال المفسرين فيها ثم قال :
وعندي ان لما فسرهما به احد علماء النصارى وجها لعلمه أدنى الى
الاصابة من تفسيرهم فقد حدس أنها أحرف وضعها كتاب محمد
رأس السورة اختصارا من قولهم أوعز الي محمد . وذلك على حد
ما وضعه بعض كتابه من اليهود « كهيعص » رأس سورة مريم
اختصارا من قوله بالعبرانية « به يعص » أي هكذا أمراه

وقد وضع مترجم الكتاب بالعربية حاشية لهذه الفرية المخروصة
خلاصتها أن هؤلاء الكتاب للقرآن من غير المسلمين وضعوا هذه
الأحرف لتبرئة أنفسهم من الايمان بما كتبوه بأمر مستأجرهم للكتابة
وأما طه حسين فقد قبحها بما ظن أن تكون مستساغة عند
تلاميذه وأمثالهم الذين لا يصدقون أن كتاب الوحي عند النبي (ص)
كانوا من اليهود حتى في مكة فجعلها لكتاب المصاحف من الصحابة
(رض) جاهلا أن هذه الأحرف كانت مقروءة ومحفوظة ومكتوبة
في سورها قبل كتابة المصاحف المتعددة في خلافة عثمان ، وأن السور
المكية منها كسورتي الروم ومريم نزلت في أوائل البعثة قبل أن
يكون في الصحابة ابن عباس وابن عمر

ولعمري « اذا كان شاكا ومضطربا » فلم لا يأتي الا
بما هو طعن في القرآن؟ ولِمَ لَمْ يذكر ولو على سبيل الشك
والترديد، ما قاله المفسرون من أنها أسماء للسور، أوجيء بها
هكذا مسرودة ليعلمهم أن القرآن منظوم من هذه الحروف
التي ينظمون منها كلامهم ، فهو اذا من جنس ما ينطقون ،
فلا أتوا به لئلا كانوا صادقين. ذلك لان مواده ليست أعجمية،
بل هي من المواد التي ينظمون منها كلامهم ، وليست غريبة
عنهم ، فاذا عجزوا بعد فليعلموا انه ليس من كلام البشر، بل
هو من عند خالق القوى والقدر

وأني لهذا الناقد أن يقول خيرا في الكتاب الكريم ولو
على سبيل الشك وهو يريد نقضه وإبطاله ؟

مثل الناقد وما يحاول من نقض القرآن كمثل فرعون
اذ قال (فأوقد لي يا هامان على الطين، فاجعل لي صرحا لعلي
أطاع الى اله موسى، واني لاظنه من الكاذبين) ولم يدر أن
٦ — نقض مطاعن

دون ذلك بعدما بين الفناء والبقاء ، والمحدود وغير المحدود ،
وتلك الهوة السحيقة ، التي فصلت بين ضعف الانسانية وجبروت
الربوبية ، وأخيرا دون ذلك سر الألوهية ، وعمق الابدية
لست أحمل من الموجدة لرجال التبشير ما أحمله لهذه
الناقد ، لانهم يبدون (كما هم) باباسهم الكهنوتي ، ويظهرون
آراءهم على انها آراء تبشيرية . أما هو فيخفي الاحاد ويظهر
باباس العالم ، ويعرض أفكاره الاحادية في ثوب العلم ويظهرها
كأنها آراء أنضجها البحث والتفكير ، وهي ليست من العلم في
قليل ولا كثير ، وانما هي آراء تبشيرية لا أقل ولا أكثر ،
وإذ انهم لا يجرون على دخول مدارس الدولة ، ولا الجامعة
المصرية ، وهو يتربع على كرسي المعلم في الجامعة ، فلا يقدر
على بث سمومهم وهو يقدر على بث سمومه ، وهم يخدمون
دينهم بمهنتهم التبشيرية ، أما هو فيضر دينه ، وهم يخدمون
أمتهم بعلمهم ، وهو يضر أمته بتمزيق رابطتها الدينية ، وهي

الرابطة التي كونتهم أمة وجعلتهم يتوادون ، ويتحابون ،
ويرمون عن قوس واحدة ، وهم يخدمون أوطنهم ، وهو يضر
وطنه بتفكيك روابطه ، وتمزيق وحدته ، فهو يخادع وهم
لا يخادعون ، وهو يخون أمته وهم لا يمهم لا يخونون ، وهم
أوفياء لدينهم وهو عاق لدينه أئيم

لست أخجل من شيء خجلي من الاقطار العربية ومن
الاجيال المقبلة إذ يقولون كيف يدرس هذا الهذر ، وهذا
الهذيان في مصر ، في الجامعة المصرية في القرن العشرين ؟ أكانت
بهذه المنزلة من الجهل ؟ أكانت بهذه الحال من الانحطاط
والعباء ؟ أفلم يكن فيها علماء يبينون لأمتهم ما في هذا من جهل ؟
أفلم يكن فيهم من يفتقون الناس على بعد ما بين هذا والمنطق ؟
أفلم يكن فيهم قادة ومرشدون يحمون الأمة من هذه الغواية ،
وهذا الحمق ، وهذا القموق ؟

الآن اشهدي أيتها الاقطار العربية ، اشهدي أيتها
الاجيال المقبلة ، اشهدي أيتها الارض ، اشهدي أيتها السماء
أن مصر لم تؤمن بهذه الشعوذة قط ، وانها لم تجز عليها هذه
الحماقات ، وانها أعدل من أن تخدع ، وأعلم من أن تدخل عليها
هذه الشعوذة وتلك الاغاليط ، وانها دفعت في صدور هذه
الشبه ، وبينت للناس بطلانها وما فيها من ضلال مبين

علاوة

ضراوة النافذ بالطعمه في القرآن

ليست هذه أول مرة يطعن فيها هذا الناقد في القرآن الكريم ، فقد طعن فيه من قبل في كتاب أسماه (في الشعر الجاهلي) كذب فيه القرآن في قصة إبراهيم وإسماعيل ، وزعم أنها خرافة اخترعها اليهود لغرض سياسي ، واستغفلها القرآن لغرض سياسي ، وزعم أن الدليل هو الذي اضطره إلى هذا . وقد كنا كتبنا كلمة بينا فيها خطأه في نظره وفي استنتاجه ، وكتبنا كلمة أخرى بينا فيها أن هذا الناقد قد سرق طعمه في القرآن من كتاب (ذيل مقالة في الاسلام) لاحد المبشرين (١) ونحن ننبتهما هنا ليعلم الناس أن القرآن بريء مما يقوله المبشرون وهذا المشايخ لهم

(١) بل أخذ من الاصل وهو للمستشرق الانكليزي (سايل) مترجم القرآن ومن ذيله لكاتب شرقي مستأجر

﴿ منهج الدكتور طه حسين العلمي في البحث ﴾ (١)

أظن أن الصحف لا تأبى عليّ نشر هذا النقد للشعر
الجاهلي للدكتور طه حسين، وأن ليس لأحد سبيل عليها إذا
نشرته، لأنه لا يتعلق بدينه، ولا بإثبات كفره بما كتبه في الشعر
الجاهلي، ولا بإثبات أنه طعن في الدين الإسلامي الذي تقام
شعائره في مصر فيكون مستحقاً للعقوبة المنصوص عليها في
القانون المصري، وإنما هو مناقشة هادئة علمية محضّة في المنهج
الذي اصطنعه الدكتور في البحث في الشعر الجاهلي، يتبين منها
أهذا المنهج الذي سلكه في البحث علمي منطقي يرضى عنه
العلم أم هو منهج خاطيء لا يحترمه العلم ويحتقره المنطق
ويرى أنه من المغالطات ??

إننا سنحاول ذلك، وستكون النتيجة كما سيراه القاريء
أن منهج الدكتور في البحث من ضلالات العقول ومغالطات

(١) نشرت في الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين من
مجلة المنار سنة ١٩٣٥م ١٩٢٧م

الوهم، وأنه ليس يسلك هذا المنهج إلا الذين لم يمارسوا صناعة المنطق، ولم يمرنوا على صناعة البرهان، وكانوا سطحيين في بحوثهم لم يتعمقوا إلى الغور، ولم يبعدوا المرمى، وغرضنا من ذلك أمور ثلاثة

(أولها) أن تسقط دعوى الدكتور طه حسين بأن ما سلكه في البحث منهج علمي حديث وأنه بذلك يحشر نفسه في زمرة العلماء حشراً في عداد المخترعين والمبتكرين والمستكشفين، وليس يعلم إلا الله ما ينال هؤلاء العلماء من الأذى في مضاجعهم بانتساب الدكتور إليهم وحشره نفسه قسراً في زمرةهم

(ثانيها) أن أحمي شباب مصر من عدوى ذلك المنهج، ومن أن يتأثروا الدكتور في طرائقه الفكرية، فإن مستوى البحث في مصر لما ينضج بعد، وذيوع أمثال طرائق الدكتور مما يكون ضغناً على إباله

(ثالثها) أن يعلم الذين يدينون بالاسلام في مصر أن

دينهم لم يصادمه علم ولا عقل كما يدعي الدكتور ويفتري ،
وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل وأنه إذا كان ثم ما يصادمه
فليس العلم والعقل ، وإنما هو الجهل المخزي ، والباطل الشائن ،
والعقل الفج الذي لم يستكمل بعد شرائط الانتاج !!!

سيسو ذلك الدكتور طه حسين ولا يرضيه ، ولكنني لست
أتوخي رضاه ولا أتحرز من مساءته ، وإنما أتوخي رضی الحق
وأجنب مساءة الصواب ، فأما من عداها فلا علي أن يكونوا
غاضبين ، وليس يدخل في غرضي أن يقتنع الدكتور طه حسين
فانه ليس ممن يرجي منهم اقتناع ، فانه ليس طالب حق ، وإنما هو
طالب رواج ، وليس ممن يعينهم الصواب ، وإنما ممن يعينهم
الريج ، فهو كالتاجر همه أن تروج بضاعته لا أن تنقد فيعلم
جيدها من رديتها ، وكما أن التاجر اذا بصرتة عيب بضاعته
ناكره وجاهدك ، كذلك الدكتور اذا ألمسته عيب ما يقول
بيده جحد واستكبر ، لان ذلك يقف دون رواجه وربحه -
ولإياهما يريد

ان الذي أفسد على الدكتور أمره اعتقاده أن أمته أمية،
فهو يلقي اليها مباحثه على عواهنها لا يعنى بتحصيها ونقي
الزائف عنها ، عالما بأنه ليس عندها من ملكة النقد ما يبين
عيبه ويظهر شينه ، وقد مد له في هذا الاعتقاد أنه يرى المعجبين
برأيه والمقرضين لعله مهما كان فيه من الباطل والخطأ
ألا فليعلم الدكتور بعد أنه ليس ينشر بمجونه في أمة وحشية
متبذية كقبائل الزنوج ، وإنما هو ينشرها في أمة متحضرة
متمدنة ضربت في العلم بسهم وأخذت منه حظا ، وأن بني
قومه فيهم من ينقدون الآراء ، ويعلمون حقا من باطلها ، ويعلمون
المغالطات مهما بولغ في تزيينها ، وأنهم لم تستعص عليهم نحل
الفلاسفة ومعتقداتهم في الآلهيات والاخلاق والسياسة
والاجتماع فنقدوها ، وعلموا زائفها من خالصها ، فكيف
تستعصي عليهم آراء سطحية تمعاق بتاريخ أو شعر ؟ وأنهم ان
كانوا قليلا ففي استطاعة هؤلاء القليل أن يبينوا لجمهرة الامة
عثرات الرأي وكبوات الافهام

جاء شقيق عارضاً رجمه إن بني عمك فيهم رماح
نفى الدكتور طه حسين في الفصل الذي عنوانه (الشعر
الجاهلي واللغة) وجود إبراهيم وإسماعيل، وبناءهما الكعبة،
وهجرتهما إلى مكة، وتعلم إسماعيل العربية من العرب العاربة
الذين هم من قحطان، وإن كان قد ورد ذكرهما في التوراة
والقرآن، نفى ذلك الدكتور، وليس له اختيار في هذا النفي لأنه
مضطر أمام الدليل القطعي، والدليل الذي اضطره إلى ذلك
هو أنه قد ثبت أن لغة قحطان أي لغة جنوب جزيرة العرب
تخالف اللغة العربية التي يتكلم بها أهل الحجاز، فنسبتها إلى اللغة
العربية كالنسبة بين اللغة العربية وبين أي لغة سامية، فإذا
كانت هذه القصة صحيحة وكان إسماعيل وبنوه قد تعلموا
العربية من القحطانية، فكيف بمد ما بين اللغة العربية العدنانية
واللغة القحطانية ??

نحن إذن بين أمرين، إما أن نقبل هذه القصة ونرفض
ذلك الدليل القطعي أو العكس، ولا مندوحة تجوز رفض

الدليل القطعي ، فلا بد من رفض هذه القصة وإنكارها
والادعان للدليل القطعي : نكرها بجملتها فلم يوجد ابراهيم
واسماعيل فضلا عن بنائهما الكعبة ، وهجرتهما الى مكة، وتعلم
اسماعيل العربية من القحطانية، نحن مضطرون الى ذلك وأن
حدثنا القرآن والتوراة عنهما، فان ورود هذين الاسمين فيهما
لا يكفي لوجودهما التاريخي .

هذا دليل الدكتور، وسنبداً في مناقشته قبل الدخول
في تفصيلات المناقشة، نذكر مقدمة ينبغي أن تعلم : وهي أن
القرآن لم يعرض لحديث تعلم إسماعيل العربية من قحطان ،
وانما الذي عرض له وجودها وهجرتها وبنائها الكعبة ،
وانما الذي عرض لتعلم اسماعيل العربية من القحطانية هم
مؤرخو اللغة . وبعد فسنسلم للدكتور جدلا كل ما قاله من
الابعد بين القحطانية والعدنانية بعداً يجعلها لغتين مستقلتين ،
ومن أنه لو تعلم اسماعيل من القحطانية لكانت اللغتان متفقتين
أو متقاربتين

ولكننا نقول له إن دليلك لا ينفي إلا إن إسماعيل
تعلم اللغة العربية من القحطانيين، فاما وجودهما، وهجرتهم إلى
مكة، وبنائهما الكعبة، وهي الأمور التي عرض لها القرآن
فلا ينفيها ولا يتعرض لها، فما يتفق مع دليلك أن يكون إبراهيم
وإسماعيل قد وجدا وهاجرا إلى مكة، وبنيا الكعبة، وتعلم
إسماعيل وأبناؤه العربية من غير القحطانيين من العرب الذين
خلقهم الله يتكلمون العربية الحجازية التي بقيت إلى محي
الاسلام، فالدليل القطعي لا ينفي إلا شيئا واحدا وهو تعلم
إسماعيل وبنيه العربية من القحطانية فمن الواجب أن يقتصر
به على ذلك، ولا يعدي إلى القصة جميعها فينفيها إذ لا منافاة بينه
وبين بقيتها، ومثل الدكتور في ذلك مثل من يسمع مؤرخين
أحدهما يقول إن اللورد كيتشر كان عميد الدولة البريطانية
في مصر والآخر يقول إنه كان عميدها في مصر سنة ١٩٢٠
فيقول: إن التاريخ يفيد أن اللورد كيتشر غرق زمن الحرب
العظمى التي انتهت قبل هذا التاريخ فما قاله المؤرخان كذب

ولم يكن اللورد كتشنر عميداً لانكلترا في مصر وقتاً ما،
كذب المؤرخين، وكذب القصة جميعها، ولو اتبع المنطق لنفي
كونه عميداً في زمن سنة ١٩٢٠، ولم يعد النفي الى كونه عميداً،
ولم يكذب المؤرخ الأول، اذ لم يتعرض لتعيين الزمن .
وكذلك الامر عندنا : الدليل ينفي مقاله المؤرخون من أن
إسماعيل تعلم العربية من القحطانية، فينفي به الدكتور القصة
حتى ما ذكره القرآن من وجودها وهجرتها وبنائهما الكعبة
مما لم ينفه الدليل ولم يتعرض له، ويكذب القرآن فيما قاله
وهو لم يعرض لما نقاه الدليل وإنما عرض لغيره .

فيادكتور دليلك أقصر من دعواك : أنت تدعي نفي
وجود إبراهيم وإسماعيل، وهجرتهما الى مكة، وبنائهما الكعبة،
وتعلم اسماعيل العربية من القحطانية، ودليلك انها ينفي
الأخير وهو تعلم اسماعيل العربية من القحطانية، فاما ما عدا
ذلك فلا، ويسمي علماء المناظرة ذلك بمنع التقريب، والتقريب
سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب، ويقولون في مثل

ذلك: أن التقريب غير مسلم، أي أنك سقت الدليل على وجه لا يستلزم المطلوب، فمتلك مثل من ادعى أن هذا الشبح إنسان، ويستدل على هذه الدعوى بأنه متحرك بالارادة، وكل متحرك بالارادة حيوان. نعم الدليل مسلم ولكنه لا يستلزم المطلوب وهو أنه إنسان

فالمنطق يأمرنا إذا نفى الدليل شيئا أن نقصره على ذلك الشيء، ولا نعديه إلى ما عداه، وقد رأيت في مثال اللورد كتشنر كيف نخطيء إذا عدينا النفي إلى غير ما قام عليه الدليل — ولو أردنا أن نصوغ دليلا في قالب منطقي لكان هكذا: لو كانت الحجازية أصلها القحطانية لما بعد ما بينهما هذا البعد، لكنها متباعدان، إذن فليست الحجازية أصلها القحطانية، هذه النتيجة فقط. وليكنك مزيد فيها ما يأتي: لم يوجد إبراهيم وإسماعيل ولم يبنيا الكعبة ولم يهاجرا إلى مكة. وهذا هوس ليس منطقيا، ويظهر أن الدكتور طه

علم أن دليله لا ينتج تكذيب القرآن فيما ذكره ، فلم يرتب
التكذيب على الدليل ، ولم يقل (واذن) التي يستعملها دائماً في
كلامه وقال : فواضح جداً لكل من له إلمام بالبحث التاريخي
عامة وبدرس الاساطير والاقاصيص خاصة أن هذه النظرية
منكافة مصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية ،
أو اقتصادية ، أو سياسية . وهو بين شرين لامفر منهما
أما أن يكون اجترأ على تكذيب القرآن في وجود إبراهيم
وإسماعيل بدون دليل ، وليس بيده الا قوله فواضح جداً
وحيث أن تكون دعوى لادليل عليها ، والدعاوي إن لم تقم
عليها بينه لم يعبأ بها ، وأما أن يكون قد كذب القرآن بذلك
الدليل ، وقد علمنا أنه أقصر من دعواه ، ولا ينتج تكذيب
القرآن

هذا وقد رأى القراء أننا لم نناقش الدكتور على قاعدة
أن القرآن نص يقيني وهو حجة على كل ما خالفه ، وإنما
ناقشناه على قاعدة أنه نص تاريخي كنص أي مؤرخ من

للإنسان تنزيلا منا، وبيننا له أن دعواه لم تتم، لأن الدليل العقلي الذي استعمله لا ينهض، فلم نلزمه بنصوص الدين لثلايقال ان ذلك لا يلزمه الا المتدين، وانما ألزمناه بالأدلة العقلية المشتركة للإنسانية كلها من تدين منهم ومن لم يتدين

ولا يظن ظان أن أدلة الدكتور الحديثة تقف عندهذا الحد من العبث والبطلان، بل ان لها لونا آخر من ألوان العبث والبطلان وهو ماسذيته .

يزعم الدكتور طه أن قصة إبراهيم وإسماعيل موضوعة وضعها اليهود لغرض وهو أنهم كانوا يريدون أن يثبتوا القرابة بينهم وبين العرب ليمشوا معهم عيشة راضية، وقبلتها مكة لغرض سياسي وديني لانهم كانوا يريدون أن يتصل نسبهم بأصل من تلك الاصول المأجدة، وقبلها الاسلام لغرض ديني وهو أنه يريد أن يثبت صلة بينه وبين اليهودية

هكذا زعم الدكتور، وليس معه نص تاريخي يفيد ذلك، وليس بيده إلا أن ذلك يمكن أن يكون قد كان، واذا تصور

على هذا الحال كان منسجما ، ونحن نقول له يادكتور ان التاريخ لا يثبت بمثل ذلك ، وليس كل ما يمكن أن يكون قد كان ، يجب أن يكون قد كان ، ولا يثبت الامر بأن هذه العلة يجوز أن تكون له . وإن مثلك في ذلك مثل مؤرخ يأتي بعد مائتي سنة يقول : يزعم المؤرخون أن أمريكا اشتركت مع فرنسا في حرب ألمانيا في الميدان الغربي ، وهذا باطل فأين أمريكا من فرنسا ؟ إن بينهما المحيط الاطلانطيقي على سعته . القصة مكذوبة وقد اخترعها بعض الامريكان ليقرب الشعبيين الامريكي والفرنسي بعضهما من بعض ، ان هذه القصة تفيد أنهما حاربا معا جنبا لجنب عدواً مشتركاً فهي تدعو الى تآلف الشعبيين فقد وضعت لذلك ، وان الذي يدعو الي أن توضع علوم الاوائل كلها موضع الشك ولا يثبت الا ما قام العلم على اثباته ، لا يسوغ له أن يطلب منا الاقتناع بمثل هذه الظنون والاهام ، وليس عنده من الحججة ، الا ان ذلك يمكن ان يكون

قد كان، فيجب أن يكون قد كان . اللهم الا اذا كان يدعو
الى رفض تقليد الماضين الى تقليده هو ، وان قارئ كتابه
يحتاجون الى مقدار عظيم من البلاهة والعمارة حتى يقتنعوا
بأمثال تلك الحجج التي هي كما قال الاول

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور
اذا أراد الدكتور أن يقنع الامة بكتابه فعليه اولاً ان
يبدأ بالقاء دقوله، وعكس منطقها السليم، واحالة تلك العقول
عن فطرتها حتى تسكون على غرار عقله ، ثم يلقي اليها بعد
أمثال تلك الاوهام، وحينئذ تقنع بها وتصدق ويتم له ما يريد
ولكن : دون ذلك وينفق...

ألا لا يقوان الدكتور بعد اليوم : المنهج العلمي الحديث
ولا البرهان العلمي، ولا يتمسحن بأعتاب العلماء، فقد أطلعنا
القراء على قيمة نهجه العلمي الحديث ومنطقه الجديد ، فملوا
أن ذلك ليس منطق العقلاء وانما هو منطق البله والاعمار
والمرورين .

وبعد : فكتاب الشعر الجاهلي ان كان الفه مؤلفه كتابا

في المغالطات ، وامثلة على القياس الذي لم يستكمل شروط
الاتجاج ، والاضرب العقيمة والحجة الخداج ، فهو كتاب جيد
في بابه واف الغرض الذي قصد اليه ، وان كان أنه مؤلفه كتابا
في تاريخ الشعر والادب فليس من ذلك في قليل ولا كثير
ولو أن في بلدنا مجعما علميا منظما لحكمته بيني وبين
الدكتور ، ولرضيت حكمه فمارميت به دعاوي الدكتور من
أنها دعاوي يقيم عليها ادلة أقصر منها تارة ، ويدعيها بدون
برهان تارة ، ويثبت الشيء بأنه ممكن تارة اخرى ، وان كان
من وراء ذلك التحكيم الخير العظيم ، فانه اذا حكم علي تواريخ
خجلا ، وأرحت الناس من سماع هذا النقد وأمثاله . واذا حكم
على الدكتور حمى شباب الامة من التورط في آرائه ، وحماها
أيضا من عدوي ذلك المنهج الخاطيء في البحث - اما والبلد
ليس فيها مثل هذا المجمع فأدعو المشتغلين بالمنطق ان يبدوا آراءهم
فيما بيني وبين الدكتور من خلاف ، انهم ان فعلوا ذلك
خدموا العلم والحقيقة ، ومن أولى من هؤلاء بخدمة العلم
المظلوم والحقيقة المبهضة .

طه حسين

﴿ يسرق طعونه في القرآن من كتب المبشرين ﴾

«اني أسفت لنقل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب
إلى وزارة المعارف لان هذا الاستاذ لا يستطيع فيما أعلم
أن يعوض الآن على الأقل لا في الدروس التي يلقها على
الطلبة ولا في محاضراته العامة للجمهور، ولا من جهة هذه البيئة
العلمية التي خلقها حوله وبث فيها روح البحث الادبي وهدى
إلى طرائقه»

هذا ما يقوله أحمد بك لطفى السيد مدير الجامعة في
استقالته . وهذا ما يقوله في حديثه مع مندوب الازهرام ،
ويمثل هذا يلجج بعض الكتاب في هذه الايام ، ونحن نرى
أن الادعاء بأن الدكتور لا يستطيع أن يعوض مبالغته في
ثناء اعتاد الدكتور ومدير الجامعة أن يتقارضا
وأما دعوى أنه خلق بيئة علمية، بث فيها روح البحث

الادبي، وهدى إلى طرائقه، فنحن لانستطيع أن نسلم بذلك، لأن الدكتور فاقد لروح البحث، ولا يدري ما طرائقه، وفاقد الشيء لا يبثه ويهدي إليه، ونجوز أن يوصف الدكتور بكل شيء، إلا البحث ومعرفة طرائقه، وهذه مسألة يخالفنا فيها مدير الجامعة وبعض الكتاب، ونريد أن نقيم الدليل عليها ونقنع بها من يريد الاقتناع.

نريد أن نعرض عليهم نماذج من بحوث الدكتور ونبين لهم من أين أخذها؟ وهل فهم حين أخذها؟ أم أخذها مخطئا فوقع في التناقض وكان أبعد الناس عن طرائق البحث السديد؟ أكبر كتاب اشتهر به الدكتور كتاب (في الشعر الجاهلي) وأشهر بحث فيه هو انكار وجود ابراهيم واسماعيل، وتكذيب القرآن والتوراة في دعوى وجودهما، وزعمه بأن قصة ابراهيم واسماعيل وأبوتهما للعرب أسطورة لفقها يهود جزيرة العرب لغرض سياسي، واستغلها القرآن لغرض ديني. بحث جاء به في كتابه، وانتحلته لنفسه، أي دري الناس ممن أخذ

هذا البحث ؟ إنه أخذه من كتاب (ذيل مقالة في الاسلام)
لمن سمي نفسه بهاشم العربي ، وهذا الكتاب مطبوع قد طبع
للمرة السادسة ، وهو من عمل بعض المبشرين الطاعنين في
الاسلام ، ونحن نعلم أن القاريء لا يكفيه أن يقال إنه أخذه
من كذا ، واتفقه من فلان . لذلك نريد أن ننقل له عبارة
الاصل ، ورقم الصفحة ، وننقل له عبارة الدكتور ، فيؤمن معنا
بأنها مسروقة

يقول صاحب ذيل مقالة في الاسلام في صفحة ٣٥٢
من كتاب مقالة في الاسلام المطبوع بمطبعة النيل المسيحية للمرة
السادسة « وحقبة الامر في قصة اسماعيل أنها ديسة لفتهما قدماء
اليهود ، تزلفا اليهم وتذرعا بهم الى دفع الروم عن بيت المقدس ،
أوالى تأسيس مملكة جديدة لهم في بلاد العرب يلجؤون اليها ،
فقالوا لهم : نحن وأنتم أخوة وذرية أب واحد ، وهذا سنن
مألوف لليهود فانهم متى رأوا المصلحة في التودد الى قوم قالوا
لهم : أنتم إخواننا ، ونحن وأنتم صنوان ، وقد حاولوا مرة

أن يخذعوا اليونان بهذه الحيلة ليعتصبوا لهم فخابوا، ثم استأنفوها
مع العرب لما زحف عليهم تيطس بجيش الروم ليقمع عصيانهم
فتذرعوا اليهم برحم القرابة وقالوا لهم : نحن وأنتم ذرية ابراهيم
وعده الله ولن يخلف وعده ليقمين من سلالتهم ملكا على
الارض حتى الانتضاء ، وطمئوا أن يجرؤم بذلك الى قتال
الروم فلم يظفروا بمرادهم ، ثم تكبوا فهاجر كثير منهم الى
جزيرة العرب وتوطد فيها أمرهم كما ذكر المصنف ، ولم يألوا
جهداً إذ ذاك الى ظهور الاسلام في إثراب العرب أن بينهم
وبينهم قرابة من النسب حتى نجحت فيهم هذه الكذوبة
آخر الامر ، لأنهم كانوا أجهل من أن يردوها ، ولأن الوثنيين
منهم لما رأوا اليهود والنصارى على ما بينهم من الاختلاف
متفقين على تعظيم ابراهيم لم يشق عليهم أن يكونوا هم أيضاً
فرعاً من هذا الاصل ، إذ كان سواء عليهم أن ينتموا الى
هذا الاب القديم أو الى غيره ، أو لعلمهم كانوا قبل ذلك
يجهلون اسمه بته ، فأقبلوا هم أيضاً يعظمونه ، وتناقلت ذريتهم

أمر هذا النسب بينهم وبين ابنه اسماعيل ، الذي قالت لهم
اليهود إنه جدهم ، حتى رسخت هذه القصة في أذهانهم بتبادي
الزمان . فلما ظهر محمد رأى المصاحفة في إقرارها فأقرها ، وقال
للأرب إنه إنما يدعوهم الى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من
غير أن يعرفوه ، الا أن قدماء مؤرخيهم لم يتنبهوا لما تبطنه
هذه الدسيسة من الخداع اليهودي فصدقوها وأثبتوها في
تواريخهم ، ثم تداولها الخلف عن السلف ، حتى صارت عندهم
أخيراً من الحقائق التاريخية الراهنة التي لا يسمع أحداً إنكارها .
وأنت قد رأيت مع ذلك أن للكلام في ردها مجالاً متسعاً لم
يبق اليوم أحد من جهابذة العصر ومحققيه الا ويجزم بانها
خرافة ، وبأن التصديق بها حماقة ، فان أبي المسلمون بعدها الا
أن يكون نبينهم وأمتهم متممين الى ذلك المحتد الكريم فهم وما
اختاروه لأنفسهم »

فيتابعه صاحب كتاب (في الشهر الجاهلي) ويقول

« والامر لا يقف عند هذا الحد ، فواضح جدا لكل من له إلمام بالبحث التاريخي ، وبدرس الاساطير والاقاصيص خاصة ، أن هذه النظرية متكلفة ، مصطنعة في عصور متأخرة دعت اليها حاجة دينية ، أو اقتصادية ، أو سياسية .
للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة »

يقول صاحب الذيل « وحقبة الامر في قصة اسماعيل أنها دسيسة لفتحها قدماء اليهود للعرب ترافا اليهم »
فيأبى ذلك الحاكي المقلد الا أن يقول مثله ، فيقول في كتاب في الشعر الجاهلي « ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة

أخرى، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة
إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون شمال البلاد
العربية، ويبنون فيه المستعمرات، فنحن نعلم أن حروباً عنيفة
شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا
يقيمون في هذه البلاد، وانتهت إلى شيء من الملاينة والمسالمة،
ونوع من المحالفة والمهادنة، فليس يبعد أن يكون هذا الصلح
الذي استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة
التي تجعل العرب واليهود أبناء أعمام»

ويقول صاحب الذيل « ولما ظهر محمد رأى المصلحة في
اقرار القصة فأقرها، وقال للعرب إنه إنما يدعوهم إلى ملة
جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه»

فيأبى ذلك الصدى إلا أن يقول مشله أيضاً فيقول في
صحيفة ٢٧ « ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ظهور
الإسلام وما كان من الخسومة العنيفة بينه وبين وثنية العرب
من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة الوثيقة

المتينة بين الدين الجديد وبين الديانتين القديمتين ديانة النصارى
وديانة اليهود . ، فما الذي يمنع أن تستغل هذه القصة قصة
القربان المادية بين العرب العدنانية واليهود »

لم يدع ذلك المقلد فكرة من أفكار صاحب الذيل في
هذه المسألة الا انتحلها حتى قوله (إن الوثنيين قبلوا هذه الفكرة
لانهم رأوا اليهود والنصارى متفقين على تعظيم هذا الاصل)

فيقول في كتاب الشعر الجاهلي (وقد كانت قریش
مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الاسطورة في القرن
السابع للمسيح) فمن المعقول جداً أن تبحث هذه المدينة
الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالاصول التاريخية
الماجدة التي تتحدث عنها الاساطير ، ثم قال في ص ٢٩ من الشعر
الجاهلي « أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد
ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني ، وقبلتها
مكة لسبب ديني وسياسي أيضا ، واذن فيستطيع التاريخ الادبي

واللغوي الا يحفل بها عند ما يريد أن يتعرف أصل اللغة
العربية الفصحى »

لقد بان الآن أن الدكتور سرق بحثه هذا من صاحب
ذيل مقالة في الاسلام ، وانما حكمنا به هذا لان كتاب ذيل
مقالة في الاسلام أقدم من كتاب في الشعر الجاهلي فإنه طبع
للمرة السادسة في سنة ١٩٢٥*)

وليته حين سرق ، فهم ما يسرق وأداه على وجهه ، ولو
فعل لكان محتاطا لنفسه كصاحب الاصل من الغلط الفاحش
والنقض البين ، يجعل صاحب الذيل التوراة هي الاصل
ويعرض عليها القرآن ، فان خالفها طعن فيه ، أما الدكتور
فيكذب بالتوراة والقرآن جميعا ، فلا يكون بيديه شبه دليل
إلا قوله - كل من له علم بالا قاصيص بعلم - ونستطيع أن نقول
وهذه دعاوى مجردة

ويؤمن صاحب الذيل بوجود ابراهيم واسماعيل و

*) واقدم طبعة رايتها له سنة ١٨٩١

ويكذب أبوة اسماعيل للعرب، فيأتي المقلد فلا يفهم عنه هذا،
فيكذب بوجود ابراهيم واسماعيل فضلا عن أبوتهما للعرب،
ويرى أن تلك حيلة اخترعها اليهود

كان صاحب الذيل فطنا محترسا، وكان حاكيه قليل
الفطنة، وقليل الاحتراس، فاصطدم بالنقض الآتي :

ان التوراة قد انتشرت في البلاد قبل نزوح اليهود الى
يثرب وما حولها، في جزيرة العرب، وكان فيها ذكر ابراهيم
واسماعيل، فلم يكن ذلك من صنع اليهود الذين كانوا بين ظهراني
العرب حيلة منهم للتقرب اليهم

ولنتنازل عن ذلك، ونسلم جدلا أنها نشأت بعد نزوح
اليهود الى يثرب وما حولها، فيبقى أنه لو كان يهود يثرب هم
الذين اخترعوها حيلة فما هو السر في أن كان ذكر ابراهيم
واسماعيل في جميع نسخ التوراة التي في البلدان المختلفة؟ أكان
يهود يثرب هم كل يهود العالم؟ أم كان يهود يثرب لهم السلطة على
جميع يهود العالم؟ فأني زيادة زيدونها في التوراة عندما حكموا

على جميع اليهود أن يزيدوها في نسخهم؟ انه ليس هذا ولا
ذاك وما أتى ذلك كله إلا من هذه الدعوى .

أما صاحب ذيل مقالة في الاسلام صاحب الفكرة
الاصلية فقد كان مع سخفه أفطن لهذه الاعتراضات التي
ذكرناها من حاكبه المقلد فصدق بوجود ابراهيم واسماعيل
وكذب بأبوتها للعرب فقط، وزعم أنها حيلة اخترعها اليهود،
وهو حين يذهب الى هذا يكون أفطن من حاكبه ، ولا
يزد عليه ما يرد على الدكتور

فقد بان من هذا أن الدكتور قد سرق بحثه من كتاب
سخيف، ولم يفهمه على وجهه ، فوقع في التناقض الذي فطن
له الاصل، فاحترس من أن يقع فيه. ثم بعد هذا يقال (الدكتور
يبث البحث الادبي، ويعلم طرائقه)؟ إن الدكتور ليس كذلك
إلا في بلد قليل الاطلاع، وفي بلد يعد الجهل فيه علما. وهذيان
المريض ببحثا، ومصادمة المنطق طرائق التفكير والبحث؟؟
الدكتور لا يستطيع أن يعوض؟ إن مما نخجلنا أمام

الاجيال المقبلة وأمام جاراتنا أن يكون هذا المعتصب
المتهافت، المجانب للمنطق، رائجاً في مصر، لا تعلم الأمة زيفه
ولا التواء تفكيره، ويقول رئيس جامعتها انه لا يعوض. اننا
لم نشأ أن نلقي القول دون دليل وبرهان، بل سقنا الدليل
عليه. وأثبتناه بالوقائع المدبوسة، وبيننا للناس أرقام الصفحات
وأريناهم على ضوء البحث قيمة بحاثهم، فعمى أن يكفوا عن
ذكر البحث الادبي، وطرائق البحث وما الى ذلك، وان أبوا
إلا أن ينعتوه بما ينعتونه به، فنحن نعلم ان الناس جميعاً
أننا لا نرى في هذا البجائة إلا متعيراً، يسرق أكفان الموتى،
المهالمة، البالية، فيزيدها مهالمة وبلى، ويلبسها ويخرج بها على
الناس، فأما الذين أوتوا العلم فيشتمون منها أكفان الموتى،
ويرون فيها صديدهم وتراب القبر، ويعلمون ما فيها من درن
وبلى، وأما أنصار الدكتور فيحسبونها أثواباً جديدة من
نسج يده، ويعدونه بعد ذلك صناع اليد، ماهر في
البحث والتتقيب.

السياسة الاتحادية في التعليم

يتنازع الناس في مصر سياستان في التعليم ، احدهما دينية ،
والاخرى لادينية : أما الاولى فهادئة لينة تمشي على بطء
وكسل ، وأما الثانية فرحة نشيطة جادة عاملة ، يخاف منها
وتتقى ، لا تترك فرصة لهدم الدين إلا افترصتها ، ولا بابا
للتشكيك فيه الا اقتحمته ، وهذه السياسة يمثلها الدكتور طه
حسين ومن لف لفه ممن يؤيدون سياسته

واني أريد أن أناقش هذه السياسة الحساب ، وأفندها
وأبين عواقبها الوخيمة ، وأضرارها السيئة على البلاد
وقبل ذلك لا بد من أن أبين ان للدكتور ومن يؤيده هذه
السياسة الاتحادية

نستطيع اذا صح استقراؤنا لاعمال طه واستنتاجنا
منها ، أن نحكم على سياسته التعليمية بأنها كانت سياسة
حواصة النطاق ، ذات عناصر كثيرة ، وأهم عناصرها أنها

كانت سياسة لا دينية . وليس هذا التعبير طبقاً للمعنى كما
يجب ، إذ يحتمل ذلك أنها كانت سياسية لا تناصر الدين ولا
تخذله ، ونحن نريد أنها سياسية كانت تعادي الدين وتحاربه ،
وتسعى في إزالة سلطانه على القلوب ، فلنسمها إذن سياسة
هدم العقائد الدينية ، وليكي ننصفه ونحمل القاريء على
الاطمئنان إلى هذا الحكي ، نقدم للقاريء عناصر هذا الحكي ،
فإن اطمأن إليها فذاك ، وإلا فهو في حل من أن يرى رأياً
غير هذا الرأي .

إنك حين تقرأ ما يكتبه الدكتور في الجرائد مما له
مساس بالدين تحس من سطوره الاحاد والدعاية إليه ، فتجده
مثلاً قد كتب في السياسة الاسبوعية عدد ٩٩٥ « ظهر تناقض
كبير بين نصوص الكتب الدينية ، وما وصل إليه العلم من
النظريات والقوانين . فالدين حين يثبت وجود الله ، ونبوة
الانبياء يثبت أمرين لم يعترف بهما العلم ، فالعالم الحقيقي
٨ - نقض مطاعن

ينظر الآن الى الدين كما ينظر الى اللغة وكما ينظر الى الفقه
وكما ينظر الى اللغات، من حيث إن هذه الاشياء كلها ظواهر
اجتماعية يحدتها وجود الجماعة وإذن نصل الى أن الدين
في نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي . وإنما
خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها » اهـ

وكتب مرة يقول : إن الدين يؤولون نصوص الكتب
السموية ليوفقوا بينها وبين العلم ينافقون الدين والعلم معاً ،
ويرى أنه يجب أن يؤمن بالعلم ويؤمن بالدين وإن تناقضا ،
ويجمع بين التقيضين في الايمان

وهذا رأي أخطر شيء على الدين ، لان تأويل الدين
ليتفق مع العلم هو مادة بقاء الاديان ، واذا نزع منها ذلك
جمدت واستعصت على البقاء ، وما يدعو إليه من الايمان بالعلم
والدين معا فيما يتناقضان فيه لا يخفى ما فيه من الخداع ، لانه
من المعلوم حتى للاطفال أنه لا يمكن التصديق بالتقيضين ،

فلا يمكن الايمان بان البحر الابيض مالح، وليس ملحاً، من شخص واحد في وقت واحد، وقد عرف النقيضان بأنهما لا يمكن اجتماعهما في الصدق والكذب .

وما إن اقتعد الدكتور كرسي الجامعة المصرية حتى أخذ يهدم في الدين بكل وسيلة، ونحن نكتفي هنا بالآراء التي طبعها .

أخرج الدكتور كتابه (في الشعر الجاهلي) فكذب فيه القرآن، ورماه بأنه يستغل الاساطير لغرض ديني، فقد قال فيه في ص ٢٦: للتوراة أن يحد ثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحد ثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي .

وذكر فيه أن قصة إبراهيم وإسماعيل أسطورة نشأت في عهد قريب من الاسلام، اخترعها اليهود لغرض سياسي، وقبلتها قريش، واستغلها الاسلام لغرض سياسي وديني معاً .

وقد نقل ذلك عن ذيل مقالة في الاسلام لمبشر شديد التعصب
كما بينا ذلك في بعض ما كتبناه .

والمقصود هنا أن نبين أن الدكتور في دروسه لتلامذته
بالجامعة كان يبت فيها الالحاد ، ويكذب بأخبار القرآن ،
ويصفه باستغلال الاساطير ، ويأخذ أقوال المبشرين التي
ما كان يحلم أصحابها بأن تدخل أحط المكاتب ، فيزجها في
الجامعة المصرية في ثوب النقد الادبي ، ويقوض تحت سلطان
النقد أعز معتقدات الامة عليها

فان قيل قد زعم رئيس الجامعة (أحمد لطفي بك السيد)
أن هذه المسألة لم يدرسها للتلاميذ ، فكيف تزعم انه كان يدرسها
لهم ؟ ، قلنا: إن للطفى السيد أن يقول . ولنا رأينا فيما يقول .
إن الدكتور قد ذكر في أول كتابه (في الشعر الجاهلي) أنه
أذاعه على تلاميذه وليس سرا ما تحدث به الى مائتين من
التلاميذ ، فلسنا نترك قول المؤلف نفسه في حالة ليس فيها

دواع إلى الكذب ، ونأخذ بقول لطفي السيد في حالة الدفاع
عن صاحب الكتاب (١)

على أنه قد كتبه وأذاعه على الطلاب وعلى غير الطلاب ،
وذلك أكثر ذيو عاله مما يتحدث به في حجرات الدروس ،
وقد خطب الدكتور طه حسين في حفلة أقامها طلبة كلية
الآداب بتاريخ ٦ شهر ٤ سنة ١٩٣٢ خطبة نشرت في أهرام ٧
ابريل سنة ١٩٣٢ جاء فيها :

أرجو أن يكون بيننا عهد كما أرجو أن يبلغه الحاضرون
إخوانهم الا تؤمن إلا بالعلم

إذن ، فالدكتور طه حسين ذو سياسة غرضها هدم
العقائد الدينية .

أظن أن هذا يكفي لازر يستنتج ما ذهبت إليه من أن
سياسة الدكتور وأشياعه التعليمية هدم الدين ، فلنضع هذه
النتيجة ، ونناقشه ومن يذهب مذهبه في هذه السياسة . ليس

(١) أي وهو استاذه وقد لقبه بابنه البكر

يكفي أن نقول هذه سياسته ، بل لا بد من نقدها ومناقشتها ،
ولسنا نناقشها من جهة أن الدين حق ، ومن الباطل إبطال
الحق ، لئلا ندخل في مجادلات دينية ليس هذا محلها ، وإنما
نناقشهم ونتحاكم معهم الى مصالحة المجموع وقواعد الاجتماع ،
ونبين أي السياستين أدعى الى تقدم العمران ؟ وأيها أدعى
الى تقويضه ؟ ونبين آراء الفلاسفة في هذه المسألة من
مؤمنين وملاحدين :

إذا نظرنا الى الدين في مجتمعا ، وجدناه رابطة بين الأفراد
كرابطة اللحم والدم ، جمع بين الأمة ووحدها ، وجعلها كتلة
متماسكة تشعر بشعور واحد ، وتسمى لمصالحتها ، وتدفع عن
وجودها . وهو فوق ذلك أس الأخلاق عندها ، كما هو أس
الأخلاق عند الأمم الأخرى ، بنيت أخلاقها ومدنيتها
وحضارتها عليه ، فمن يسعى في هدم دينها فانما يسعى في
تقويض أخلاقها ، وتفكيك عراها ، وحل وحدتها ، وما
بقاء الأمم إلا بهذين

الدين في النفوس هو ذلك الضمير الحي الذي يبعث
الشخص إلى أن يصحح بنفسه لمصالح المجتمع ، هو ذلك الضمير
الذي يحض على الفضائل الاخلاقية الاجتماعية ، وينهي عن
الردائل التي تفسد المجتمع ، وتهد من قوته

إن هؤلاء الذين ينشرون الاحاد في الامة قوم قد
تعلموا تعليماً ناقصاً ، فلا وقفوا مع العامة . ولا تغفلوا في أعماق
العلم حتى كانوا مع الخاصة ، ولو فعلوا لعرفوا للدين قيمته
الاجتماعية ، وعلوا شأنه ضروري للمجتمع ، ولا يقنوا أن
الخدمة التي يؤديها للأثم لا يعني غناؤه فيها غيره ، لا من جهة
ما يعطيه من أسس للأخلاق ، ولا من جهة ما يزرعه من
الحبة والالفة والتراحم والاحسان بين المجتمع الواحد ، ولا
من جهة ما يشرب النفوس إياه من حب العدل ، والعفة ، والمثل
الاعلى ، ولا من جهة ما يفرسه من الامل الذي يجمل الحياة
راضية سعيدة ، ويعين على مصائبها وبلاياها وشرورها
إن أصحاب هذه السياسة لم ينظروا إلى المسألة بمخاديرها ،

وإن كل الفلاسفة الذين هم جديرون بهذا الاسم يرون للدين
هذه المنزلة ، وسأنتقل لك رأي الفيلسوف ابن رشد ملخص
كتب أرسطو ، وأعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ، وفيما أنقله ما
يعلمك موقف الفلاسفة المتقدمين من الدين

قال ابن رشد في ص ١٢٩ من كتابه (تهافت التهافت)

« أما ما نسبته أبو حامد^(١) من الاعتراض على معجزة

إبراهيم عليه السلام فشيء لم نقله إلا الزنادقة من أهل الإسلام ،

فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التسكّم ولا الجدل

في مبادئ الشرائع ، وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب

الشديد ، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسام بمبادئ الشريعة

وأن يقلد فيه ، ولا بد من هذا الوضع لها ، فإن جحدّها

والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان من حيث الفضيلة ،

ولذلك وجب قتل الزنادقة ، فالذي يجب أن يقال إن مبادئها

(١) أي نسبه إلى الفلاسفة

هي أمور إلهية تفوق العقول الانسانية فلا بد أن يعترف بها
مع جهل أسبابها ، ولذلك لا تجد أحداً من القدماء تسكلم في
المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم ، لانها مبادئ
تسميت الشرائع ، والشرائع مبادئ الفضائل ، فان تمدى به
الزمان والسعادة الى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم
فعرض له تأويل في مبدأ من مبادئها فيجب عليه ألا يصرح
بذلك التأويل ، وأن يقول فيه كما قال تعالى (والراسخون في
العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا) هذه حدود الشرائع
وحدود العلماء ، اه

أنظروا أيها الداعون إلى تقويض الدين إلى تلك الكلمة
الذهبية (إن جحد مبادئ الشريعة والمناظرة فيها مبطلان
لوجود الانسان من حيث الفضيلة) أنظروا إليه كيف يقول
ان الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدال في
مبادئ الشرائع .

وقال أرنست رينان في كتابه تاريخ الاديان (من الممكن

أن يضمحل ويتلاشى كل شيء نخبه ، وكل شيء نعبه من ملاذ
الحياة ونعيمها . ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية
والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو يتلاشى ، بل سيبقى
أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يود
أن يمحصر الفكر الانساني في المضائق الدنيئة للحياة الارضية اه
وليس احترام الدين مقصوراً على الفلاسفة المتدينين
بل إن الفلاسفة الجاحدين الذين لا يدينون بدين محترمون
الدين ، ويعرفون له فضله في إنهاض الامم ، وتشديد الحضارات ،
هذا جوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي يقول في كتابه
(سر تطور الامم)

« فان قيل لها طيف لا حقيقة له ، قلنا طيف وجب
احترامه . فبفضله عرف آباؤنا حلاوة الامل ، وانطلقوا وراء
تلك الاوهام انطلاق الشجاع أصابته جنة . فانقدونا من الهمجية
الاولي ، وأوصلونا إلى ما نحن فيه الآن . كذلك كانت الاوهام
« أشد عوامل الحضارة تأثيراً »

ويقول في ذلك الكتاب أيضا «وعلى الفلاسفة الذين يقتلون
الادهار في هدم ما بناه المؤمنون في يوم واحد أن يخروا لهم
ساجدين، فانهم حلقة من سلسلة تلك القوى الخفية المهيمنة على
الكائنات ولقد جاؤا بأعظم الحوادث التي خلدت في بطون التاريخ»
هؤلاء هم العلماء الذين أدركوا حقائق الكون، وأصول
الاجتماع، ووجهوا علمهم الى ما يفيد الانسانية، لا الى ما
يفسدها، ويقوض أركانها

لقد ضعف الدين في نفوسنا معشر المصريين بسبب
اهماله في مدارس الحكومة، وبما يوجه اليه من طعون في
المجلات والصحف، فضعف فينا كل شيء، ضعفت عاطفة
الاحسان فليس منا — الا قليلا — من يحسن الى البائسين،
وينفس عن المكروبين، ويهب ماله للمصالح العامة
ضعف فينا سلطان العقل على النفس، وعلى الشهوات،
فضاعت أموالنا في سبيل شهواتنا ولذائذنا، وأدّى ذلك
الى فقرنا المدقع

ضعفت فينا - الا قليلا منا - حاسة الشعور بالواجب
وطهارة الذمة والعفة عن أموال الآخريين

ضعفت فينا أخلاق الشمم والعزوة والعدل، فإذا تريدون
أيها الناصرون للسياسة اللادينية في المدارس بعد ذلك ؟

ان الامة قد أشفت ، ولم يبق منها الا الذمء ، فأشفقوه
على البقية الباقية من أخلاقها

انها قد أصبحت لهما على وضم ، فأنهضوها من كبوتها ،
بدل أن تجهزوا عليها ، حنانيكم بعض الشر أهون من بعض

أعلم أنكم تقولون (حقائق العلم ، والنقد الادبي ، وما

دام العلم يعارض الدين فنحن نضحي بالدين لاجل العلم)

ولكنني أقول لكم : ان الدين لا يتعارض مع حقائق العلم

العملية كحقائق الكهرباء والبخار ، فهما استكشفت العلماء

من حقيقة تقرب المواصلات ، وتسهل الخطابات ، وتخفف

آلام الانسانية ، وتدني من سعادتها ، فان تخالف الدين

لأنما يخالف الدين تلك الآراء التافهة الفجة التي تدعونها تاريخنا
أديبا ، واصطاحتم خطأ على تسميتها علما

خذوا مثلا كتاب الشعر الجاهلي ووازوا بين ما تكسبون
وما تخسرون ، إنكم تكسبون أن شيئا كثيرا مما نسميه شعرا
جاهليا ليس شعرا جاهليا ، وتخسرون ضياع الدين من نفوس
الناشئة ، وانهيأر الاخلاق بانهيأره

هبوكم كسبتم أن الشعر الجاهلي لم يوجد ، وأن مجنون
ليلي شخص خيالي اخترعه الرواة ، أ كنتم بذلك تسامون
أهم أوربا في حقائق علوم الطبيعة والكيمياء ؟ أ كنتم بذلك
أقدر على استنبات الارض ، واستغلال أسرار الكون ،
ومعرفة طرق الاقتصاد ؟ أ كنتم بذلك محققين ويلات
الانسانية ، مستكشفين طرقا لنميتها ورفاهيتها ؟

لثمتنا الانسانية منذ اليوم ، فقد خفت ويلاتها وشرورها ،
ويا أيها الركبان الغادون الرائحون في الآفاق ، زفوا البشري

الى كل من لقيتم من أبناء آدم وحواء ، ولم لا ؟ ألم يستكشف
طه حسين أن الشعر الجاهلي لم يوجد منه الا القليل ؟ ألم تكن
هذه الحقيقة خيرا مما استكشف علماء أوربا من حقائق
البخار التي سirt القاطرات في البر والبحر ، ومن حقائق
الكهرباء التي أنارت الحالك من الدجنة ، ومن قوانين الصوت
التي نقلت الاصوات من قارة الى قارة في الزمن اليسير ؟
صدقوني أنها حقيقة ثمينة ومفيدة جدا ، وقد ضحى
المستكشف لها بالدين ، ألا ترون صاحبها نخورا بها ؟ يتحدثى
وزارة المعارف بها ويُدل عليها ، ويقول ان معدتها لاتمضمها ؟
لا تهزلوا يا قوم وجدوا لحظة من الزمان ، لا تسرفوا
في الضحك على ذقون أمتكم ولحاهم ، وتقولوا «العلم والبحث»
وتفروها بذلك ، وتسرفوا في هذا الغرور وهذا الخداع .
(حمار جارنا قد مات ، وأتانه قد ولدت * مجنون ليلى لم يوجد
والشعر الجاهلي الذي بأيدينا ليس كله شعرا جاهليا) كلاهما

علمه لا ينفع في الحياة ، وجهله لا يضر ، ولا يقدم الامة
في حياتها الاقتصادية ولا في أخلاقها شيئا

ان سياسة هدم الدين التي سلكها بعض أساتذة الجامعة
جعلت الحكومة المصرية متناقضة أو عابثة ، تبني بيد ، وتهدم
بأبنته باليد الأخرى ، فبينما هي تعلي من شأن الدين ، وتقوي
فيه في المعاهد العلمية الدينية ، وفي مدارسها الأولية ، والابتدائية ،
وتنفق على ذلك النفقات الكثيرة ، اذا هي تنقض الدين من
أساسه في الجامعة ، وتنفق على ذلك النفقات الكثيرة أيضا ،
تبني وتهدم ما تبني ، وتنفق وتسخر في الانفاق على هذا

البناء ، وعلى هذا الهدم

فيكون مثلها كرجل يبني قصرا ويشيده ، ويستأجر
المهندسين والعمال على تشييده ، ويستأجر الهدامين على هدم
ما يبني الأولون ، ويبقى كذلك في بناء وهدم ، إحدى اثنتين :
أما أن تؤمن الحكومة بصلاحيحة الدين وضرورته ،

واما أن تؤمن بتقيض ذلك ، فإن كانت الاولى فعليها أن
تصونه من عبث العابثين ، وان كانت الثانية فعليها ألا تتعب
نفسها في تشييده وتوثيق قواعده، ولذلك نطالب من الحكومة
بالحاج أن تعلن الى الجامعة وغير الجامعة أن سياستها في التعليم
ليست الحادية ، فلا تبيح الدعوة في المدارس الى نبذ الدين ،
وزرى لذلك أن تكون ذات اتصال وثيق بالجامعة في هذه
النقطة ، لتلايق مثل هذا التناقض ، أو العبث الذي أشرنا اليه
ليست دولة من الدول تعلم الاحاد في مدارسها الا
دولة السوفيت ، وهذه لا تزال تحت التجربة ، فهل نربد أن
نحاكيها ؟ واذا كان لا بد من المحاكاة فتمت الدول العظمى ،
كبريطانيا العظمى والولايات المتحدة فلنحاكها

لا تأسر هذه الحركة الاحادية في الجامعة المصرية الا
المبشرين ، واني أرى أنه يجب على جماعات المبشرين والدول
التي تساعدنا لئلا كان لهم فيها في القديم بعض المدر أن

يغيروا سياستهم الآن ضد الدين - أرى ذلك وأدعو إليه
لان الزمن قد تغير، ولم يبق النزاع بين مسيحية وإسلام فقط،
بل دخل خصم ثالث، هو عدو اللاديان جميعها وهو الاحاد
فمن يخرج من الاسلام يتلقفه الاحاد، فليس من مصلحة
الاختين الشقيقتين المسيحية والديانة الاسلامية أن تقفا
متخاصمتين، فتضعف قواهما، ويستفيد من ذلك العدو الالذ
المشترك، الراصد بالباب، يستفيد من ضعفهما كليهما
بل من مصلحتهما أن تتركا النزاع مؤقتا، وتتماقدا معا
على دفع هذا العدو المنير الذي يرى رجال التبشير فكرك
الذريع بالدين والمتدينين
وأما أنه يجب على الدول ذلك، فلأن الدين حجاز بين
المسلمين وبين البولشفية، فكما ضعف الدين ضعف ذلك
الحجاز بينهم وبين البولشفية المقوتة التي هي عدو مشترك
لكل الدول الآن

لقد ناهضت أوروبا الدين حقبة من الزمن لغاية سياسية
وهي أنها أرادت أن تتخلص من سلطة رجال الدين الذين
اقتاتوا عليها ، ولكنها لما أدركت غرضها كفت عن مناهضة
الدين ، والآآن لما رأت أن الاخلاق تتدهور ، والاباحة
تتسلط على الجماهير ، وخافت سوء العاقبة ، عادت الى تقويته ،
وهرع الناس الى ساحة الدين ، يلتمسون العون منه على
النجاة من هذا التدهور والانحطاط

فهل آن لنا بعد هذا البيان أن نعلم أن مناهضة الدين
خرق ، وأنه ضار بوجدتنا وبأخلاقنا أبلغ الضرر وأشدّه ؟
هل آن لنا أن نتعاهد على نصر الدين وتقويته في نفوس
الامة ، لتقوي وحدتنا ، وأخلاقنا ، وروح الخير فينا ، ونذكر
من تقوية الدين ما أدركه آباؤنا الاولون ، ودول أوربة
المستنيرة الآن ؟

إنه لا يزال عندي شيء من حسن الظن ولا تزال
عندي بقية من أمل . وفق الله المسلمين إلى ما فيه خيرهم ونفعهم .

القرآن الكريم

(الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)
(الر * كتاب أحكمت آياته ثم فصت من لدن
حكيم خبير)

وقال رسول الله ﷺ «أيكم بكتاب الله فان فيه نبأ
من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من يدهه من
جبار قصمه الله ، ومن ينتغ الهدى في غيره أضله الله ، وهو
حبل الله المتين ، وأمره الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو
الذي لما سمعه الجن لم يتناءوا أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي إلى الرشده) هو الذي لا تختلف به اللسانة ، ولا يخلق
على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه »

وبعد . فلست أني على القرآن الكريم إلا بما يشهد به
التاريخ ، ونثني به عليه الاجيال ، ولست أنحله من الفضائل
إلا ما يقوم الدليل عليه .

إن هذا الكتاب الكريم قبس من نور الله ، ونفحة
من نفحاته ، وسر من أسرار لم تظفر بمثله أمة من الأمم إلا
الامة الاسلامية ، ولم تأت به نحلة من النحل إلا الديانة
المحمدية — هذا الكتاب ليس مثله كتب الاخلاق التي وضعها
الفلاسفة المتقدمون ، كجمهورية أفلاطون ، وأخلاق
أرسطوطاليس ، وكتاب السياسة له ، ولا كتب الاخلاق
التي وضعها فلاسفة الغرب ، وأيس مثله أيضا كتب الديانات
السالفة ، كالانجيل والتوراة والزبور .
لان كل أولئك لم تؤثر في أممها اثره في أمته ، ولم تفعل
في شعوبها فعله في شعبه وفي سائر الشعوب التي دانت له —
لعمري أين منه الاكسير الذي يبحث عنه الفلاسفة وعلماء
الكيمياء . إن قصارى هذا الاكسير أن يحيل النحاس ذهبا ، أما
القرآن فهو يحيل النفس الانسانية الخبيثة الي نفس طاهرة
علوية ، وليس يفعل ذلك في فرد بل في شعوب وأمم ، ويبدل
من الجهل علما ، ومن الرذيلة فضيلة ، ويجعل الشعب الذي

لا يصلح للاجتماع ، ولا لأن يعيش أفراده بعضهم مع بعض
شعبا اجتماعيا ، من خير الشعوب الاجتماعية ، وينصبهم على
الدينا سادة ، ومعلمين ، ومهذبين ، وساسة عادلين ، وليس
يفعل ذلك في الزمن الطويل ، وعلى الطريق المعروف الطبيعي
بل هو يفعله في الزمن القصير المدى ، الذي لا يكفي لتهديب
فرد ، بله أمة بأسرها ، فمثل في ذلك مثل ما يتخيله علماء
الكيمياء من فعل أكسير الذهب الذي يحيل النحاس الى ذهب
وشيكا سريعا وهو لا يستحيل الى ذهب بفعل الطبيعة الا في
آلاف السنين وهو مدفون تحت الارض تصهره حرارة
قوية في باطنها .

وآية ذلك أن العرب كانوا قومًا متوحشين في جزيرتهم ، يأكل
بعضهم بعضا كالوحوش الكاسرة ، والذئاب الجائعة ، كانت
الحرب تقوم بين القبيلة والقبيلة فتمكث عشرات السنين حتى
تبيد القبيلتين ، وكان لا يأمن الرجل أن يسير في طرق
الجزيرة إلا بحلف ، أو جوار ، أو في شهر حرام ، حتى كأن

الجزيرة أتون من نار يأكل من فيه ، ولا يصلح للقرار عليه ،
وكان العرب مع ذلك على أخلاق فظة ، وعادات قبيحة ،
فكانوا يثدون البنات ، ويهتكون الحرمات ، ويعبدون
الاصنام ، وتستعبدن الاوهام ، وتملكهم الخرافات .

فأرسل الله محمدًا ﷺ بذلك الكتاب الكريم (مثاني تقشع
منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله) فنقض طباعهم الوثيقة ، وأبطل عاداتهم المحكمة ،
وصهر نفوسهم فأزال خشيا وذرائلها ، وعادت نفوسا كريمة ،
لا تعاق بها رذيلة ، ولا تشوبها فاحشة ، وأرسل هؤلاء البدو
الجفاة على العالم القديم المتعفن البالي يعمونه ويهدبونه ويثقفونه
ويحكمونه فيقيمون عدل الله في أرضه ، وقسطاسه في خلقه ،
هذه معجزة اجتماعية لم يشهد مثلها التاريخ .

إن المرء قد يعجزه أن يهدب ابنه وهو حريص على ذلك
مشتغل به ، مقصور عليه ، وربما أعجز بعض فلاسفة الاخلاق
والاجتماع أن يصلح أسرته ، وأن يسوس بيته فتنشر عليه زوجته ،

ويشذ عنه ولده ، وتأبى عليه أخلاق ورثوها أن تلبس في يده ،
وعادات اكتسبوها أن تستحيل كما يريد

أما محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقد قام في الدنيا وحيداً فريداً ،

الناس كلهم فريق وهو وحده فريق ، لا ناصر ينصره ، ولا
ولي في الارض يؤيده ، وليس بيده من أسباب القوة والغلب
والسيطرة والسلطان شيء ، ولم يكن بيده إلا آيات من ذلك
الكتاب ، تنزل من السماء مفرقة ، ويرسلها الله منجمة

ماهذه الآيات ؟ ماهذه السور ؟ أي قوة تجتم وراءها
وأي قدرة تستتر خلفها ؟ وأي سر من أسرار الكون تحمله
في ضميرها ؟

انها تحمل أعظم قوة في الوجود حتى كأنها القدر ، وتشتمل
على سر خفي لا يعلم من أمره إلا أنه فوق القوى والقدر ،
فما أرادت من الوجود شيئاً الا كان كالح البصر ، قالت للطباع
الوحشية النافرة حولي خالت ، وللقلوب المتحجرة ليني
فلانت ، وللذائل النفسية زولى فزالت ، ولهذا المجتمع البدوي
الذي كان شرّاً كله : كن خيراً كلك - فكان

كانوا قوما متعادين متباغضين فزالت العداوة والبغضاء
وكانت قلوبهم مختلفة ، وأهواؤهم متنافرة ، فألف الله بين هذه
القلوب ، وجمع هذه الأهواء (لو أنفقت ما في الأرض جميعا
ما ألفت بين قلوبهم : ولكن الله ألفت بينهم انه عزير حكيم)
كانوا قوما يعدو بعضهم على بعض فأصبحوا يدفعون
المدوان عن العالم

وكانوا قوما من شذاذ الانسانية فأصبحوا قاعدة ، وكان
لا يستفيد منهم الوجود إلا شرأ فأصبحوا أجدي الناس فائدة
وكانوا أعداء لأنفسهم وللانسانية فأصبحوا أحب الناس
للناس ، وأرأف الامم بالامم ، وأعدل الشعوب بين الشعوب ،
وكل ذلك في عمر قصير ، وزمن وجيز ، يقصر عن أن تراض
فيه نفس واحدة .

كان « رستم » اذا رأى المسلمين يتمعون للصلاة يقول
أكل عمر كبدي ، يعلم الكلاب الآداب
ليأكل الفليظ كبديك ماشاء ، ولتحققك الضغينة محققا فقد

قضى الله ولا راد لما قضى أن يتعلم هؤلاء الآداب والسياسة
والاجتماع والفضائل والاخلاق والمعلوم والفنون ، وأذن أن
تقلب طباعهم ، وتحول أخلاقهم ، ويكونوا سادة الدنيا ، وزينة
الارض ، وجمال العالم ، بما أحكم لهم من أسباب ، وما أنزل
اليهم من آيات الكتاب . *فإنه من أجل هذا التعلية*
هكذا فعل القرآن في التديم ، وهكذا يفعل في الحديث
لوعني الناس به اليوم كما عني به أسلافهم بالأمس ، ولو عكفوا
على درسه والبحث فيه ، واستخراج المعبر منه ، ولو تحلقوا
بأخلاقه ، وتربوا على آدابه ، واستيقنوا بيقينه ، ومكنوا
لأيمانه حتى يستولى على نفوسهم فلا تنبعث الجوارح إلا
على مقتضى هذا الايمان *فإنه ذلك وهو ما دلنا عليه*
لو كان هذا الكتاب عند أمة غيرنا لجعلوه ورد الناسك
ولوحة التمهيد ، وكتاب المشرع ، وصحيفة الاخلاقي ، وقانون
الاجتماعي ، وآداب السياسي ، ونموذج البياني ، ولكان كل
شيء عندهم فيستولون به على كل شيء *فإنه ذلك*

ولكنه مني بنا فلم نعرف له قدره كما يجب ، ولم نحفل به
كما ينبغي والشيء لا يمطيك خيره الا على قدر احتفالك به ،
واجلا لك اياه ، ومعرفتك بقدره ، واستبصارك بخيره
أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كريمة وسداد نعر
كان سلفنا الصالح يعلمون ما في القرآن من خير ، وكانوا
يروونه هاديا مرشداً اذا توفروا عليه ولذلك كان هجرا عم
القراءة فيه والتدبر لمعانيه ، وكانوا يكرهون أن يشغلهم عنه
شاغل حتى حديث رسول الله ﷺ
أخرج الحافظ عن قرظة بن كعب قال : لما سیرنا عمر
الى العراق مشي معنا عمر وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا نعم
مكرمة لنا ، قال ومع ذلك فانكم تأتون أهل قرية لهم دوى
بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالاحاديث فتشغلوهم ،
جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم
فلما قدم قرظة قالوا حدثنا فقال نهانا عمر
قرأت الامم الاخرى تاريخ القرآن ومبدأ الاسلام ،

وعرفت للقرآن فضله في انهاض المسلمين، وعلم علماء الاجتماع
منهم ورجال السياسة ورجال التبشير ان المسلمين لو عادوا الى
الاستيقان به والتخاق بأخلاقه والتأدب بأدابه وتحليل حلاله
وتحريم حرامه لعاد اليهم مجدهم الاول، فسلطوا عليه المبشرين
وصنائع المبشرين لينالوا منه ، وينفروا عنه ويرموه بكل
كراهية ليبعد أبناء المسلمين عنه فيبعد عنهم الخير بقدر بدمهم
عنه - هذا هو السر فيما تراه من حملات لا تني على القرآن
السكرام .

ألا قد بلغت اللهم فاشهد ، ألا قد دلت المسلمين على
الشفرة التي ينحدر منها اليهم أعداؤهم ليتقوها اللهم فاشهد ،
ألا قد دلتهم على سر عظمتهم ، وسبب مجدهم ليسلكوا السبيل
اليه ، اللهم فاشهد ، ألا قد أزحت الستار عن أعدائهم فأريتهم
إيام وخناجرهم مغمدة في صدورهم ، وأيديهم ملوثة بدمائهم
وأفواههم فاعرة اليهم ، وأضراسهم وأنيابهم تنهش في لحومهم
وأكبادهم ، اللهم فاشهد ، ألا قد بلغت اللهم فاشهد

تذييل

هذه فصول كنا كتبناها ردا على الناقد ونشرت في
الجرائد في حينها ونحن نثبتها هنا ليعلم الناس قيمة بحوث الناقد
وما فيها من مجانبة لأساليب المنطق والتفكير
يطلمع على الناس الدكتور طه حسين بين كل آونة
وأخرى بطائفة من أفكاره فيرى الناس فيها خلاف
ما يعرفونه ، وقد يرون فيها ما يخالف معتقداتهم ، ومصادمة
وتكذيبا لما أتتهم به الكتب السماوية ، ولما كنا قد درسنا
الدكتور طه فيما يعرض له من بحث ورأينا له طرائق في
البحث وخلالنا نجعل لنتائج أبحاثه قيا زهيدة أردنا أن ندل
الناس على بعض هذه الخلال فيه ، ونستشهد لهم من أبحاثه
بما يدل على ظهورها فيه ليقرأوا له كتبه ورسائله يتحفظ
ويحونها بحيث أنزلها الله .
للدكتور طه حسين فيما يعرض له من الابحاث خلة

الجرأة على الحق فهو يدفع في صدره للشبهة تمن له ، والخاطر
يهجس بفكره ، ولا يكاف نفسه أناة المنتبث ، ولا تبصر
المنصف ، ولا استقصاء العدل لعله أن يكون قد ند عنه مالو
ظفر به لغير حكمه ، وخالف رأيه ، بل يطرح عن نفسه
مؤونة الاستقصاء ، وكلفة البحث ، ويستوطيء مركب
المعجز (والمعجز مركب وطيء) فيخرج بحثه نيثا لم تنضجه
نار الروية ولا الاناة والتبصر

أحاول أن أعرض على الناس نموذجا من بحثه بارزة منه
الجرأة على الحق والتهجم بدون علم ، فأضع أيديهم منه على
ما ذكرنا فيلسوفه بأيديهم منه ، وأريهم إياه فيبصروه بأعينهم ،
أحاول ذلك في أبحاثه فأراه كثيرا لا يعوز الطالب ولا يمنت
الباحث ، ولا يشق على من يريده ، ولكن أظهر أبحاثه في
ذلك وأجلها ما كتبه في جريدة السياسة بعدد ١٦ يناير
سنة ١٩٢٥ تحت عنوان (شعراؤنا ومترجم ارستطاليس)
فلمثل به .

قال الدكتور في ذلك المقال « على أي أنتقل من هذا العيب الى عيب آخر يشبهه وقد اشترك فيه شوقي وحافظ ونسيم وغيرهم من الكتاب أيضا وهم أنهم لم يقرأوا كتاب الاخلاق ولم يقدروه قدره ، ولم يفطنوا للفرض من تأليفه وترجمته فهم قد فتنوا بلفظ الاخلاق ، وخيل اليهم أن أرسططاليس قد قصد إلى إصلاح الاخلاق يوم ألفه ، وأن لطفي قد قصد إلى إصلاح الاخلاق يوم ترجمه. ولعل الرجلين قد فكرا في شيء من هذا ، وليكني أستطيع أن أذكر للشعراء والكتاب أن الفرض الاول من تأليف الكتاب وترجمته علمي لاعلمي ، وأن المؤلف والمترجم أرادا خدمة الفلاسفة قبل أن يفكرا في الوعظ والارشاد، وما أظن أن كتاب ارسططاليس في الاخلاق يصلح مرجعا للوعاظ والمرشدين ، وإنما هو مرجع حسن لصديقنا الدكتور منصور فهمي حين يدرس علم الاخلاق لطلابه في الجامعة وفي مدرسة الحقوق ،
وملخص ذلك أنه عاب الشعراء الثلاثة والكتاب منهم

بأنهم فتنهم لفظ الاخلاق ففهموا منه ان كتاب أرسطو في
الاخلاق كتاب وضع لاصلاح الاخلاق وغرس الفضائل ،
وقلع الرذائل من نفوس البشر ولم يملوا أن الكتاب علمي
وضع لخدمة العلم والفلسفة لاعلمي وضع لاصلاح الاخلاق
وربما فكر الرجلان في شيء من ذلك، ولكنه يذكر أن الغرض
من تأليفه وترجمته علمي لاعلمي ، ومن ذلك أخذ أن من عرضوا
للكتاب بالتقريظ لم يقرأوا الكتاب ، وقد أُلح على ذلك المعنى
فقال (كلا يا حافظ لم تقرأ الكتاب ولم تتجاوز مقدمة الاستاذ
لطفي السيد ، ولم تر المؤلف والمترجم ماثلين في إطار ، وإنما
تخيلتهما كذلك وأنزل شعرك عليهما هذا النور الذي تذكره ،
وأنا زعيم بأنك لن تحاول ولن تماري فيما أقول ، فلو أنك
قرأت الكتاب حقاً ورأيت الفيلسوفين في هذا الإطار يفيض
عليهما هذا النور لقلت فيهما كلاماً غير هذا ، وهل تريد أن
تقنعني بان شاعراً مثلك مجيداً غنياً خصب الخيال يستطيع أن
يفهم كتاباً ككتاب أرسطو ويفهمه دون أن يوحى اليه الشعر

آية من آيات البيان في وصف هذا العقل الذي لم تعرف
الانسانية مثله بعد ، كلاً أنت كشوقي لا تعرف ارستطاليس
ولم تقرأ إلا ترجمة الاستاذ لطفي)

ونحن الآن نؤكد للدكتور طه أن الكتاب وضع
لإصلاح الاخلاق وأن الغرض الاول منه عملي لاعلمي ، وننقل
له من كتاب أرسطو نفسه ما هو نص في ذلك .

قال أرسطو في الباب الثاني من الكتاب الثاني من

كتاب الاخلاق صفحة ٢٢٩

١ - شيء لا يغرب عن النظر وهو ان هذا المؤلف

الاخلاقي ليس نظرياً محضاً كما قد يكون الشأن في كثير سواه

فليس لأجل العلم بما هي الفضيلة أن أوغلنا في هذه الابحاث

بل من أجل أن نتعلم كيف نصير فضلاء وأخياراً لانه إن لم

يكن كذلك صارت هذه الدراسة عديمة الفائدة أصلاً ، فمن

الضروري اذاً أن نعتبر كل ما يتعلق بالافعال لتتعلم آياتها لانها

هي صاحبة السلطان في التصرف في خلقنا وفي اكتساب ملكاتنا
كما قدمنا آنفا .

وقال في صفحة ٣٦٦ في الباب العاشر من الكتاب العاشر

١ - اذا كنا قد حددنا قدر الكفاية في هذه الرسوم
والنظريات التي أتينا عليها ونظريات الفضيلة والصدقة واللذة
فهل نظننا الآن قد آتمنا كل مشروعنا ام هل أولى بنا أن
نظن كما قلته أكثر من مرة أن في الشؤون العملية ليس الغرض
الحقيقي هو التأمّل والعلم نظريا بالقواعد علما تفصيليا ، بل
هو تطبيقها

٢ - ففما يتعاق بالفضيلة لا يكفي أن يعلم ما هي بل يلزم
زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها أو إيجاد
وسيلة أخرى لتصيرنا فضلاء وأخيارا

٣ - لو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن
تجملنا أخيارا لاستحقت كما يقول (تيوغنيس) أن يطلبها كل
١٠ - نقض مطاعن

الناس وأن تشتري بأغلى الأثمان ، وما يكون على المرء إلا
اقتناؤها ، ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المباديء في هذا
الصدد هو أن تشد عزم بعض فتیان كرام على الثبات في الخير
وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقا للفضيلة وفيما بهدها اه
فأرسطوطاليس يعترف أن هذا المؤلف الاخلاقي ليس
نظريا محضا ، وليس لأجل العلم بما هي الفضيلة أن أوغل في
هذه المباحث ، بل لأجل أن يتعلم هو والناس كيف يصيرون
فضلاء ، ولو لم يكن الشأن كذلك لصارت هذه الدراسة
عديمة الفائدة ، وجعل علم الاخلاق علما آليا عمليا ليس الغرض
الحقيقي منه التأمل والعلم نظريا بالقواعد ، وانما هو تطبيقها
فلا يكفي أن يعلم ماهي الفضيلة ، وانما يلزم رياضة النفس على
حيازتها . فكيف تسنى للدكتور طه أن يصرخ في وجوه الناس
قائلا : نحن نستطيع أن نؤكد للناس أن الغرض الاول من
الكتاب علمي لا عملي ، وأن يخطيء الناس اذا لم يفهموا خطأه ؟
هانحن أولاء بهذا النقد قد وقفنا القراء على رجل يعرض

له الخاطر الخاطيء فيعتقده ولا يكف نفسه مؤنة البحث
ليعرف أحق هو أم باطل، ثم يرمي به في ظهور أهل الصواب
ونحورهم مشنعا عليهم إذافهموا خلاف ما فهم

وهذا النقد كما يرينا الدكتور طه على ما وصفناه، يرينا
رجلا يستطيل على الناس بما ليس فيه ويوهمهم أنه حال من
الشيء وهو منه عاطل

ذلك أنه يؤخذ مما نقلناه عنه ومن قوله في تلك الكلمة
نفسها) أريد أن أكون حرا، فأنا معذر الى شعرائنا الثلاثة إذ
لاحظت أنهم جميعا قد عرضوا الى ذكر ارسطاليس وهذحوه
وهم يجهلونه ويجهلون آثاره وأرجو أن يصدقوني - وعم
يصدقوني - اذا قلت أنهم يجهلون حتى كتاب الاخلاق الذي
أنشأوا لاجله هذه القصائد، وما أظن أن عليهم بهذا الكتاب
يتجاوز مقدمة الاستاذ لطفي السيد وما أحسب أنهم جميعا
قرأوا هذه المقدمة وأحاطوا بما فيها)

يؤخذ من ذلك ايماء أنه حينما قرظ كتاب الاخلاق

لأرسطو قبل ذلك عرض لأرسطو وهو يعرفه ويعرف كتاب
 الاخلاق الذي من أجله عمل التقرير، وإلا كان واقعا في
 العيب الذي يعيب به الشعراء من تعرضهم لما لا يفهمون .
 وأنا أزعم أنه عرض لأرسطو وليكن كتاب الاخلاق وهو يجمل
 أرسطو من كل نواحيه، ولا أستثنى من ذلك شيئا إلا ناحية
 هي أهون نواحي أرسطو وأسلسها، تلك هي الناحية التاريخية
 فأنا أقر له بأنه يعلمه من حيث هو مؤرخ للنظام السياسي عند
 الاثينيين وبذلك ترجم له نظام الاثينيين — أما ما عدا هذه
 الناحية الوطيئة الذلول من تلك النواحي الصعبة الجموح كعلمه
 من حيث هو منطقي بصف طرائق العقل البشري في التفكير،
 ومن حيث انه سياسي يعلم ما هي المبادئ التي تقوي الممالك
 أو تضعفها، وما هي الاسباب في أن بعض الممالك ذو حكومة
 صالحة، والبعض الآخر ذو حكومة فاسدة؟ وما هي الاشياء
 التي يجب أن تكون لكل نوع من أنواع الحكومات الخ؟ نقول
 أما تلك النواحي فلا يعرفها ولا يعرف أرسطو من جهتها

أما أنه يجهل كتاب الاخلاق الذي وضع التقريظ من
أجله فدليله ما بيناه من خطته في فهمه أن أرسطو لم يعمل كتابه
لاصلاح الاخلاق، وأن غرضه علمي لاعلمي، مع أن نصوص
أرسطو في نقيض ذلك مكررة في غير ما وضع من الكتاب،
وانها ليست بالامر الذي يخفى على من قرأ الكتاب، فلو كان
قد قرأه حقاً ولو قراءة سطحية لما وقع في هذا الخطأ

وأما انه يجهل أرسطو من النواحي الاخرى فاني أسوق
له دليلاً كالذي ساقه لحافظ ابراهيم فأقول :

أتريدني يادكتورطه أن أفهم ان عالماً مثلك باللغتين اليونانية
والعربية يعلم كنوز اليونان ومنهم أرسطو ودفائنهم من سياسة
وأخلاق ومنطق وعلم طبيعي وإلهي؟ الخ ثم يعف عن تلك
الكنوز فلا يحمل الى قومه منها جوهرة واحدة، بل يترك
ذلك كله ويأخذ خرزتين من خرزهم هما الشعر القصصى عند
اليونان ونظام الأثينيين، كلا لست أفهم ذلك، وانما أفهم
أنك لم تعرف الجوهر فأهديت الخرز، وأعوزك اللؤلؤ، فعلمت

بالإصداق ، وقصر باعك عن الشيء الجليل فرضيت بالحقير
على ان الدكتور طه يكاد يعترف في بعض مقالاته بما
قلنا، فقد ذكر في نقده للعقاد أنه كان من أنقل الدراسات عليه
فلسفة (كانت) وأنها من ذلك النوع الذي لا يفهم

والحق أن فلسفة ارسطو وأمثاله تعجز عتلا مثل عقل
الدكتور طه، فلذلك جاوزها الى ما يستطيع من ترجمة القصص
وتلخيصها، وما إلى ذلك من ترجمة الشعراء، والقول في حياتهم
ومماتهم ، وشعرهم وغزلهم الخ

فاذا كان الدكتور يرمي الناس بدائه وينسل ، فيصم الناس
بانهم يمرضون للشيء وهم لا يعلمونه ، وهو الذي يفعل ذلك
ويزهى على الناس بما ليس فيه ، فأى رجل يكون ???

بهذه الجرأة على الحق ، وذلك التهجم على الناس ، وتلك
الاستطالة عليهم بما لا يعلم ، وذلك الايهام بانه قتل الشيء علماء ، وهو لم
يتذوق طعمه بطرف لسانه ، ولم يشم رائحته بأنفه ، وبذلك البحث
السطحي وبذلك النظر الاهوج ، والرأي الاحمق ، يعالج الدكتور

ما يعالجه من بحوث ، ليسفه الناس في آرائهم تارة ، ويكذب
الأديان فيما جاءت به تارة ، ويوسع الاوائل تكديبا وتفنيدياً
تارة ثالثة .

هأنذا قد قررت ان الدكتور أخطأ في فهمه ان كتاب
الاخلاق ليس الغرض منه اصلاح الاخلاق ، وأخطأ إذ لم يقرأ
الكتاب ليحق هذا الفهم ، وأخطأ إذ رمى غيره بالخطأ ، وأخطأ
لانه رمى غيره بانهم لم يقرأوا الكتاب

وأقرر أنه هو الذي لم يقرأ الكتاب ، وأتحداه أن يتفصى
عمارميته به ، وأتحدى معه تلاميذه ومن على شاكلته في
الجامعة ، وقد صخخته في غير لين ولا هوادة لا ستثير حميته
للدفاع عن نفسه ، وأستفزه اللذود عن حياضه ، فان لم يدفع عن
نفسه بعد ذلك كله علمت أن العجز قد أخذ بمخنته (١) وتمثلت
بقول الشاعر :

فما بُقيا عليّ تركماني ولكن خفتما صرد النبال

(١) من دهائه انه لا يرد علي منتقديه حتى لا يشتهر ردهم الفاضح له

القرن الثاني

ليس عصر شك واستهتار

(إلى الدكتور طه حسين)

السلام عليكم ورحمة الله : وبعد فاني أخالفك في ذلك
الحكيم الذي حكمت به على العصر الثاني من انه عصر شك
واستهتار ، أخالفك في الحكيم وفي طريقة استنتاجه جميعا، فهل
لك أن تنصت إلي قليلا فان رأيت الحق فيما أقول رجعت
اليه ، وإلا نبهتني على ما فيه من خطأ فارجم إليك ، فان طلبتي
وطلبتك الصواب ، والحق تريد .

ليس معنى الحكيم على عصر بأنه عصر شك واستهتار انه
قد وجد فيه الشك والاستهتار ، إذ لا يخلو من ذلك عصر
من العصور، وإنما المعنى أن الروح العامة فيه الشك والاستهتار
وان غالب أفراده الشاكون والمستهترون، ولا يقدر في ذلك

أن يوجد الموقنون والمحشمون على سبيل القلة والندرة ،
وكذلك الحكيم على عصر بانه عصر يقين واحتشام . ولقد
توصلت الى حكمك العام على العصر الثاني باستقراء حال طائفة
من الادباء والشعراء والمترفين ، فرأيت فيهم الشاك والماجن
فأخذت العصر بجريرة هؤلاء ، وحكمت بان العصر عصر
شك ومجون

وإن تصفح طائفة ووجدناها على صفة لا يعطي منطقيا
الحكيم على عصرهم جميعا بان فيه هذه الصفة ، ولو كان ذلك
الاستقراء القليل منتجا لذلك الحكيم العام لخرجنا بحكمين
متناقضين على ذلك العصر وعلى غيره من العصور
فاننا إذا تتبعنا سيرة الفقهاء والمحدثين والزهاد في ذلك
العصر ، وجدناهم على مرتبة عظيمة من اليقين والورع والزهد
والاحتشام . فقيمهم الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ وقد كان
أفضل أهل زمانه علما وزهدا وتقوى
لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق ، وأضيفت اليه

خراسان وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن
البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ١٠٣ فقال
لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق
بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون
فيكتب إلي بالامر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الامر
فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة ، فقال ابن
هبيرة ما تقول يا حسن ؟ فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد
ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد
لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث اليك ملكاً فيزيلك عن
سريرك ، ويخرجك من سعة الدهر ، الى ضيق القبر ، ثم
لا ينجيك الا عملك . يا ابن هبيرة : إن تعص الله فانما جعل
الله هذا السلطان ناصرًا لدين الله وعباده ، فلا تترك دين الله
وعباده بسطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ومنهم عمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٤ سئل الحسن عنه

فقال للسائل : لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته ، وكان

الانبياء ربه ، إن قام بأمر قعد به ، وإن قعد بأمر قام به ، وإن
أمر بشيء كان ألزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان أترك
الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبهه بباطن منه ، ولا باطناً أشبهه
بظاهر منه ، قال له المنصور يوماً هل من حاجة ؟ قال لا تبعث
إلي حتى آتيك . قال إذن لا تلقاني : قال هي حاجتي ، ومضى ،
فأتبعه المنصور طرفه وقال : كلِّم يمشي رويد ، كلِّم يطالب
صيد ، غير عمرو بن عبيد . وراثه المنصور بقوله :

صلى الاله عليك من متوسد قبراً مررت به على مروان
قبراً تضمن مؤمناً متحنفاً صدق الاله ودان بالعرفان
لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً أبقى لنا عمراً أبا عثمان

ولم يسمع بخليفة يرثي من دونه سواه

ومنهم مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ وسيرته في العلم
والتقوى معروفة ، لدغته عقرب وهو يقرأ الحديث فاريد
وجهه ، وتغير لونه ، واستمسك مخافة أن يقطع حديث
رسول الله ﷺ قال الشاعر فيه :

ينذر الجواب فما يراجع هيبية والسائلون نواكس الاذقان

عز التقى وفضل سلطان النعي فهو المهيب وليس ذاسلطان

ومنهم محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ وأبو

حنيفة النعمان ، وأحمد بن حنبل ، ومالك بن دينار المتوفى

سنة ١٣١ ، وعبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ ، وربيعة الرأي

المتوفى سنة ١٣٦ ، ورابعة العدوية المتوفاة سنة ١٨٥ ، وابن سيرين

والشعبي وكثير غيرهم ، وإنما سبيلنا أن نمثل ولا نستقصى ، وما

منهم إلا من ملك نفسه ، وكان أنفع الناس للناس ، وسيرتهم

في العلم والزهد والتقوى يعرفها من عني بدرس حياتهم

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

فها نحن أولاء قد وجدنا طائفة عظيمة موقنين محتمسين

والدليل الذي نتبعه أن الحكيم على عصر يتبع الحكيم على طائفة

فيه ، فهو عصر يقين واحتشام ، وقد كان عصر شك واستهتان

فقد خرجنا بحكمين متناقضين والتناقض باطل فما أدى إليه
فهو باطل ، وهو الدليل

والحق أن تتبع سيرة طائفة يعطي الحكم عليها فقط ،
أما أنه ينقل الحكم الى بقية الطوائف فلا . فطائفة العلماء
والفقهاء والمحدثين والزهاد موقنون تحتشمون ، وطائفة الشعراء
والادباء فيهم شك واستهتار ، فاذا أردنا أن نحكم على العصر
فسبيلنا أن نتعرف أطائفة الفقهاء والزهاد والمحدثين هم الذين
كانوا يمثلون عصرهم ويعطون صورة صحيحة عنه ؟ أم طائفة
الشعراء والمقنين ؟ نبحث فنجد أموراً ظاهرة في ذلك العصر
تخول لنا الحكم عليه :

أولاً - أن الناس في ذلك العصر كانوا يبجلون أصحاب
الفقه والحديث ويعظمونهم ولم يكن بين الرجل وبين الجاه
والشرف إلا أن يكون من أصحاب الفقه أو الحديث . عن
أشعث بن شعبة قال : قدم هارون الرشيد الرقة فأنجفل الناس
خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة

فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج الخشب ، فلما رأت
الناس قالت ما هذا ؟ قالوا عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال
له عبد الله بن المبارك ، فقالت هذا والله الملك ، لا ملك هارون
الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان
ولو لم يكن للدين في نفوسهم المحل الارفع لما نزل أصحابه
منهم هذا المحل

ثانيا - أن الدين كان شغل العلماء الشاغل في ذلك العصر
فقد عكف قوم على تخريج أحكام الفروع ، ومعرفة الحلال
والحرام ، واستنباط ذلك من الكتاب والسنة والقياس ، وهم
الفقهاء ، وقوم على تعرف أصول الدين ، ومعرفة وجود الله
وصفاته ، وإرسال الرسل ، وإمكان المعجزات ، وما الى ذلك وهم
المتكلمون ، وقوم على مواظب الدين وآدابه ، وحكمه ، وما
يخص عليه من مكارم الاخلاق وهم الزهاد والنسك .

وآخرون على الرحلة في طلب الحديث والتزيد منه وهم
المحدثون ، وغيرهم على فهم كتاب الله ومعرفة ناسخه ومنسوخه

وهم المفسرون . وما لقي الادب والشعر وعلوم العربية حظا
إلا لانهم كانوا يرون أنها تعين على فهم كتاب الله وسنة نبيه،
وبالجملة فلم تخدم علوم الدين في عصر من عصور الاسلام كما
خدمت في ذلك العصر، فقيه وضعت أصول أغلب العلوم
الاسلامية وأحكمت قواعدها، وفرعت فروعها، وهذا أثر
من آثار اهتمام أهل العصر بالدين وبقينهم به لا من آثار
الشك فيه .

ثالثا - أن الناس كانوا يطالبون حقوقهم باسم الدين،
وكان الفالج لمن وجد في الدين ما يدل له حتى الخلافة العظمى
فقد كانت الدعوة للعباسيين باسم الدين، ولما استتب لهم الامر
وأدب لهم من بني أمية كانوا يذودون أبناء (علي) بالدين، قال
مروان بن أبي حفصة :

انى يكون؟ وليس ذلك بكائن لبني البنات وراثه الاعمام .

ويجيبه الداعي الى العلويين بقوله :

لم لا يكون؟ وان ذلك لكائن لبني البنات وراثه الاعمام .

للبنت نصف كامل من ماله والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللسهم وانما صلى الطليق مخافة الصمصام
رابعا - ان المهدي نهى بشارا عن الغزل في النساء و ذكر
ذلك مرارا كالايات الآتية :

بمشت إليّ تسومني بُرد الشباب وقد طويته
بالله رب محمد ما ان غدرت ولا نويته
ان الخليفة قد أبي واذا أبي شيئا أبيتته
ونهى الامين أبانواس عن شرب الخمر وقد ذكر ذلك
في آيات كثيرة منها :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام الا شميما
نالنن بالسلام فيها إمام لا أرى لي خلافة مستقيما
كبر حظي وما أومل منها أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنني بما أزين منها قعدني يزين التحكيما (١)

(١) قعدني بالتحريك نسبة الى القعدة وهم طائفة من الخوارج
قعدوا عن نصره علي كرم الله وجهه ، والتحكيم بينه و بين معاوية
معروف

وهذا يدل على احتشام وحب لصيانة الآداب
خامسا - ان الناس كانوا يغارون على دينهم وكانوا
ينقمون على من يظنون فيه مخالفة ولو كانت دون الكفر ،
يدل لذلك قول الشاعر في ذلك العصر ولا يحضرنى الآن
اسمه ولا الشطر التالي من البيت الاول :

هاج الفؤاد بلابل الصدر
ان بحت طلّ دمي وان كتمت وقدت على توقد الجمر
مما جناه على ابي حسن عمر وصاحبه أبو بكر
فهذا كان يخاف أن يطل دمه من إظهار عقيدته تلك
وهي دون الكفر (١)

وما نقل عن أبي نواس وبشار من الزندقة والاحادق له مما كان
يتحدث به أحدهم خلاصته ، ورواه الرواة بعد لكافهم بالرواية
سادسا - تقرأ فيما تقرأ ان هؤلاء الشعراء كانوا يرون
١) ولكنها عقيدة السياسة والملك وهي ادعى الى استباحة الدم من الكفر

أنفسهم غرباء بخلقهم من ذلك العصر وأنهم شذاذ منه ،
وكانوا يسعون بما لديهم من قوة لمحو القالة عنهم . اتفق بشار
وحماذ على الحج مع الحاج ليتحدث الناس بذلك فتنفى عنهم
قالة السوء ، فلما خرجا بعدت عليهما الشقة فلما في الطريق
الى مكان فعاودا لهُوهما ، فلما قفل الحاج قفلا معا فهنأها الناس
بذلك الحج ، فعضب حماد من بشار يوما فقال هذه الايات :
ألم ترني وبشارا حججنا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيد فمال بنا الطريق الى زواره
فآب الناس قد حجوا وبروا وأبنا موقرين من الخاره
كل ذلك يسوغ لنا الحكم بان العصر الثاني عصر يقين
واحتمام ، لا عصر شك واستهتار ، وأن السبب في الحكم بغير
هذا — على ما أظن — أن القاريء للآغاني يخيل اليه من
كثرة ما يذكر من مجون هؤلاء أنهم في جو يسيل فسقا
ومجوناً وإلحاداً ، ولكن لو تذكر أن صاحبه انما عني بتاريخ
طائفة فقط هم الشعراء والمغنون ، وليس ذلك تاريخاً لسائر

العصر، لحي نفسه من التورط في ذلك الحكم (١) وأن هناك عوامل خاصة جعلت كثيرا من الشعراء المستهترين ماجنين سنعرض لها في مقال آخر، وإن ذكرنا لها يفضي بنا الى مأخذ آخر على الاستاذ الدكتور طه حسين

(١) أي لان مقتضى قواعد النقد التحليلي لاهل عصر من العصور أن يبنى على خلاصات كلية عامة لامرائه وحكامه وعلمائه على اختلاف طبقاتهم من مفسرين ومحدثين وأصوليين وفقهاء ومتكلمين وعباده وصوفيته وأدبائه وفنانيه وشعرائه كما بينه الاستاذ الكاتب لهذا في أوائل هذا المقال، فيخرج الدكتور طه عن هذه القاعدة التي يدعيها دليل على أنه قد كتب لافساد الاخلاق لاجل تحقيق التاريخ .

أرأيت لو كلف أن يكتب تاريخ فرنسة في هذا العصر الذي عرفها فيه بالاقامة في عاصمتها عدد سنين وكانت هي التي حببت اليه هذا الضرب من البحث التحليلي لحياة الفساق والمجان الذين يوجد منهم في تلك العاصمة ما لا يوجد مثله في سائر عواصم الشعوب في الكرم ولا في الكيف - أرأيت لو اقتصر فيما يكتبه فيه على تهتك هذا الصنف وفجوره، أكان يكون مؤرخا صادقا، وناقدا مجددا ومعلمنا ناصحا للامة التي يكتب لها، أم يعده كل عارف بحال فرنسة وعاصمتها من كذبة المؤرخين، والكاتب المفسدين، وهو انما كتب ما خبره بنفسه، وعرفه بسمعه وحسه ولمسه، وأما ما كتبه عن القرن الثاني للهجرة فهو قليل من روايات خاصة تحتل الصدق والكذب، وقد يكون جانب الكذب فيها أرجح، بخلاف روايات حفاظ الحديث، وكذار واة اللغة فتدبر م (انتهى الكتاب)

﴿ كلمة ختامية في هذا الكتاب وعلاوته وذيله ﴾

بقول محمد رشيد رضا صاحب دار المنار : جاءني صديقي الاستاذ العالم الاديب ، الكاتب الخطيب ، المؤلف بما كتبه في نقض مطاعن الدكتور طه حسين الاخيرة على القرآن العظيم ، ورجب الي في طبعه بمطبعة دار المنار والعناية بتصحيحه وكتابة مقدمة لتصدره ففعلت ولما تم طبعه ارتأى أن يضم اليه طبع ما كان قد كتبه ونشره في المنار من الرد على كتاب الدكتور (في الشعر الجاهلي) وهو يدخل في مسمى هذا الكتاب لانه نقض لطعنه في القرآن، ووقف عليه بفصل عنوانه (السياسة الاحادية في التعليم) حملة عليه ما كان قد كتبه طه حسين وبعض انصاره من كون الجامعة المصرية قد انشئت لتعليم وثقافة تضادان تعليم جامعة الازهر الدينية وثقافتها، وما ينتقد على جميع المدارس الدينيوية في هذا الباب . وحم ذلك كله بكلمة قيمة بليغة في بعض مزايا القرآن الكريم ثم ارتأى أن يجعل له ذيلًا في انتقادات سمقت له على بعض ما كتبه هذا الدكتور الجريء بل المتهور في بعض المسائل الادبية والتاريخية غير الدينية ونشره في بعض الصحف، وبذلك عرف كنه الدكتور طه في جميع معارفه ومقاصده

واما مقدمتي للكتاب فقد كتبتها قبل تمام طبع اصله فموضوعها خاص بطعنه على القرآن العظيم في جملته وأهم مسائله الكلية ، وفي طريقة الطاعن وامثاله في تقديم ومطاعنهم، وبطلان بعض قواعدهم فيه وأغلاطهم فيما يبنون عليها من فروع ، دون سياسة الاحاد في التعليم وما بعدها فلم أعرض لها .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب تنبيها للمغرورين بأنفسهم، وبصيرة للاغرار المقلدين لهم ، والسلام على من اتبع الهدى

فهرس كتاب نقض مطاعن

- مقدمة التصدير بقلم السيد محمد رشيد رضا
مقدمة المؤلف ٢
- الطعن على القرآن العظيم في الجامعة المصرية ٤
- الحاجة الى تنفيذ هذه المطاعن ٨
- تلخيص المطاعن ١٣
- النقض والتنفيذ لها وفيه نماذج ١٥
- النموذج الاول (الحجج على البعث وفيه خمسة شواهد) ٢١
- النموذج الثاني (البراهين على وجود الله للعالم وخالق
للكون في القسم المبكي وفيه أربع شواهد) ٢٦
- النموذج الثالث (ما أقام من الادلة على وحدانية الله
وفيه شواهد) ٣٣
- النموذج الرابع (مناظرته ايام عند ما كانوا يجاورونه
في نهي رسالته وفيه شواهد) ٣٤
- النموذج الخامس (مناظرته ايام حينما زعموا انه يملئه
بشر) ٣٥

النموذج السادس (مناظرته أيام حينما كانوا يرون	٣٧
ان العاقبة لهم وهو يرى ان العاقبة للمؤمنين وفيه شواهد)	
تفنيد الطعن الثاني	٤٤
براءة سورة تبت يدا من هذه العيوب	٤٥
براءة سورة والعصر منها وملخص معانها	٤٦
ميل القسم المكي الى اللين والعمو	٥٢
اشتمال كل من المكي والمدني على الوعد والوعيد	٥٤
كلمة في هذا الطاعن على القرآن	٥٧
تفنيد الطعن الثالث	٥٩
تنزيه القسم المكي عن تقطع الفكرة واقتضاب المعاني	٥٩
الحكمة في خلو القسم المكي من التشريعات الجزئية	٦٧
وعنايته باثبات العقائد الاصلية والتشريعات الكلية	
اثبات القصص والتاريخ في القسم المكي	٦٨
اقسام القرآن	٦٩
تفنيد الطعن الرابع (هل تعلم القرآن من اليهود)	٧١
عيب القرآن اليهود بتحريف شريعتهم وكتمان العلم	٧٣

- ٧٤ عيب القرآن اليهود بفقد الامانة واستحلال الحيانة
والكذب على الله
- ٧٥ عيبه ايهاهم برذيلة الحسد
- ٧٦ عيبه ايهاهم بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وخلال أخرى سيئة
- ٧٨ موقف القرآن من اليهود موقف المعلم لا المتعلم
- ٧٩ تفنيد الطعن الخامس
- ٨٥ ضراوة الناقد بالطعن في القرآن
- ٨٦ منبج الدكتور طه حسين العلمي في البحث
- ١٠٠ طه حسين يسرق طعونه في القرآن من كتب المبشرين
﴿ علاوة ﴾
- ١١٢ السياسة الاحادية في التعليم
- ١٣١ القرآن الكريم
- ﴿ تذييل ﴾
- ١٤٠ طه حسين وكتاب الاخلاق لارسطو طاليس
- ١٥٢ القرن الثاني للهجرة ليس عصر شك واستهتار
- ١٦٤ الكامة الختامية للسيد محمد رشيد رضا

﴿ تصويب أهم ما وقع من التحريف في الكتاب ﴾

صواب السطر ٨ من صفحة ٤ من المقدمة هكذا :

عاد إليها فجعله وهو مديرها من أساتذتها ثم عميدا لكلية الآداب فيها الخ

صفحة سطر الخطأ صوابه

بين	٣ (مقدمة) بين	٣	٣
شراز	« شراز	٢	٩
صورة	« صدق	٩	١١
لا تمدن	لا تمدن	١١	٥٣
وقودها	وقودها	٤	٥٥
ينجيك	ينحكم	١٤	٦١
يدعونه	يدعوته	١	٦٢
وخرقوا له	وخرقوله	٩	٦٣
وازره	وازر	٦	٦٦
ولم يخل	ولم يخل	٤	٦٨
عقلوه	عتلوه	١٢	٧٣
فلن يضروك	لن يضروك	٦	٧٤
ضراوة الناقد	ضراوة الناقد	٢	٨٥
لغرض	لغرض	١٤	١١٥
تعلمها	تعلمها	٦	١١٩
ما يعطيه	ما يعطيه	١٠	»
وتثنى	وتثنى	١٣	١٣١
الباحث	الباحث	١٢	١٤١
وهو أنهم	وهم أنهم	٣	١٤٢